وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵏⵜⵉⵔ ⵏ ⵜⵓⵙⵏⵜⵉⵡⵉⵏ ⵜⵉⵏⵜⵙⵜ ⴷ ⵜⵓⵔⵉⵜ ⵜⵓⵙⵏⵜ

ⵜⴰⵡⵓⵍⵜⵜ ⵏ ⵍⵎⵓⵙⵏⵜⵉⵡ ⴰⵜ ⵛⵃⵛⵛⵓ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵔⵜ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ

ⵜⴰⵎⴰⵙⵙⴰⵏⴰⵢⵜ ⵏ ⵜⵣⴰⵔⵉⵜ ⵡ ⵜⵓⵔⵉⵜ ⵜⵓⵙⵏⵜ

جامعة مولود معمري
تيزي وزو

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث و معاصر

دراسة البنية المكانية في رواية ضباب آخر النهار لمصطفى ولد يوسف

إعداد الطالبة:

بلغيت تسعديت

إشراف الأستاذة:

نعيمة لعقريب

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذة زكية بن بجة.....أستاذ محاضر صنف "ب" رئيسا بجامعة مولود معمري تيزي وزو

الأستاذة تعيمة لعقريب..... أستاذ محاضر صنف "أ " مشرفا ومقررا بجامعة مولود معمري تيزي وزو

الأستاذة حكيمة حبي ..... أستاذ مساعد صنف "أ" بجامعة مولود معمري تيزي وزو

السنة الجامعية:2019-2020

شكر و عرفان

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم عليّ بنعمة العقل و الدّين.

و أثني ثناءً حسنا على الأستاذة "**نعيمة العقريب**" ، ووفاءً و اعترافا مني بالجميل التي بذلت جهدا في مساعدتي في مجال البحث جزاها الله خيرًا.

و أتقدم بجزيل الشكر إلى كلتا الأستاذتين "**بن بجة**" و "**حكيمة حبي**" و كذلك الأستاذ الفاضل "مصطفى ولد يوسف" بجامعة البويرة.

و أتقدم بجزيل شكري إلى كل من مدوا لي يد العون و المساعدة لإنجاز هذا العمل.

تسعديت

الإهداء

إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية.

إلى روح أبي الزكية الطاهرة.

إلى أمي الغالية و العزيزة.

إلى زوجي الحبيب "ارزقي".

إلى نور عيني "**سيرين**"

إلى أسرة زوجي

إلى جميع أفراد أسرتي في البويرة من كبيرهم إلى صغيرهم

إلى إخواني "كريم"، "حسين"، "أحسن"، "طاهر"، "فهيم" و زوجاتهم و أولادهم.

إلى من كانوا سندي في هذه الحياة إخوتي" نادية" و "كريمة"

إلى أساتذتي في البويرة

تسعديت

مقدمة:

برز اهتمام النقاد و الدارسين في النقد الأدبي بظاهرة المكان التي خصص لها بعض النقاد أعمال و دراسات وفقا توجهاتهم النقدية و الفكرية، و يعود هذا الاهتمام بالمكان بالنظر إلى تأثيراته الجمالية و الدلالية، في الأعمال الروائية حيث يعتني المبدعون بالأمكنة و طريقة توظيفها و اختيارها.

يحمل المكان دلالات متنوعة و علاقات مختلفة تربط الإنسان بواقعه، و ذاكرته و مشاعره. و نظرا للقيمة الكبيرة للمكان، ارتأينا أن نركز على دراسة البنية المكانية في رواية ضباب آخر النهار لمصطفى ولد يوسف و كشف مختلف أبعاده الجمالية و الدلالية.

يرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب موضوعية و ذاتية تتعلق الذاتية منها، هي ميلنا لقراءة الرواية الجزائرية، أما الأسباب الموضوعية فتتعلق في كشف جمالية الرواية، و كيفية اشتغال الروائي عليه؟ و ماهي دلالات هذا الاشتغال؟

طرحنا في هذا البحث جملة من الأسئلة لعل أبرزها:

كيف اشتغل الروائي على عنصر المكان في رواية ضباب آخر النهار لمصطفى ولد يوسف و ماهي الدلالات الجمالية للمكان في هذه الرواية؟

اعتمدنا في دراستنا على المنهج البنيوي المتضمن لمفاهيم و إجراءات عملية مناسبة لمثل هذا النوع من البحوث، الذي يسمح لنا بالكشف عن جمالية الرواية خاصة أنه يتناسب مع الطبيعة السردية للنص.

قسمنا البحث إلى فصلين، و سمينا الفصل الأول: ماهية المكان و أهميته في النص الروائي: تناولنا فيه عناصر أساسية متمثلة في بعض المفاهيم للعنصر المكان اللغوي و الفلسفي و الأدبي و أهميته في النص الروائي و الفروقات الموجودة بين الحيّز و الفضاء و

المكان. أما بالنسبة للفصل التطبيقي تناولنا فيه التشكلات المكانية في رواية ضباب آخر النهار لمصطفى ولد يوسف.

1-الأماكن المفتوحة.

2-الأماكن المغلقة و تحدثنا أيضا علاقة المكان بالعناصر السردية الأخرى علاقة المكان بالشخصيات و علاقة المكان بالحدث و خاتمة حوصلة للنتائج التي توصلت إليها من دراستي للبنية المكانية في رواية ضباب آخر النهار لمصطفى ولد يوسف.

1- المفهوم اللغوي للمكان:

تطرق اللغويين إلى شرح معنى هذا المصطلح في:« المكان و المكانة واحد التهذيب: الليث: مكان في أصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضع لكينونة الشيء » [1] و جعل المكان في باب "مكن" أي أنه مشتق منه، و عرفه على أنه مشتق منه، و عرفه على أنه موضع لوجود الشيء، و لم يحدد فرقا بين المكانة و المكان بل و جعلها واحد.

اتفقوا الدراسيين اللغويين أن معنى هذا المصطلح هو الموضع و المنزلة.

و لقد وردت لفظة المكان في النص القرآني في سورة مريم في الآية 16 فجاء في قوله تعالى:« و اذكُر فِي الكِتَابِ مَريَمَ إِذ انتبذَت مِن أَهلِهَا مَكَانًا شَرقِيًا » و المكان هنا بمعنى الموضع.

كما وردت أيضا في قوله تعالى:« إذا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون » [2] و جاءت في سورة النحل آية 101 و لفظة المكان في الآية الكريمة لها احتمالين الأول بمعنى التبديل و الثاني بمعنى النقل من الموضع إلى موضع.

---

[1]- ابن منظور لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 414.

[2]- المصدر، سورة النحل، الآية 101، ص 287.

2-المفهوم الفلسفي للمكان:

تعددت مفاهيم المكان عند الفلاسفة تبقى لاختلاف خلفيات الفكرية، و قد خاض في هذا الموضوع بعض الفلاسفة أمثال أفلاطون و أرسطو، و نستحضر جملة من التعريفات لبعض الفلاسفة قديما و حديثا يقول أفلاطون بأن« المكان يحوي الأشياء، و يقبلها، و يشكل بها » [1]

رأى ديكارت من خلال قوله:« أن المكان يمتد في الأبعاد الثلاثة كما حدده إقليدس » [2] في حين سبوزا و ماليراش المكان« امتداد غير متناه » [3] أما العالمان نيوتن و كلارك:« بإضافة باعتبارهما المكان حاو الأشياء، كما عدده أفلاطون، فإنهما يضيفان إلى هذا التعريف خصائص: اللامتناهي، الأبدية، القدم، و عدم الفناء » [4]

بعد عرض آراء الفلاسفة الغربيين الذين تناولوا مسألة المكان في أبحاثهم أن مفهوم المكان سواء أكان المقصود منه معلا، أم حاويا أم ممتد، هو اصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه فيه.

شغل المكان فلاسفة اليونان فقد كان محط انشغال الفلاسفة العرب أيضا و قد صنف حسن مجيد الربيعي آراءهم فيه قبل ابن سينا إلى اتجاهات ثلاثة هي الأول يذهب إلى أن

---

[1]- باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ط1، عالم الكتب الحديث، النشر و التوزيع، الأردن، 2007، ص 171.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المكان « »سطح الجسم الحاوي » [1] و به قال الكندي الغارابي و إخوان الصفا و فلاسفة بغداد.

الثاني و هو معارض للأول، و هو ما صرح به أبو بكر الرازي،« إذ يرى أن المكان يمتد لامتناه، و قد ميز نوعين من الأماكن أولهما الكلى أو المطلق، و هذا يساوي الخلاء، و لا يوجد فيه متمكن » [2]و ثانيهم« المكان الجزئي، و هذا ما لا يمكن تصوره بدون متمكن لكنه لا ينتهي بنهاية الجسم، بل هو موسع في الجهات » [3]

أما الاتجاه الثالث: فهو اتجاه ابن الهيثم الذي عارض في سابقيه، في حين أيده به الفيلسوف ابن الرشد، إذ برهن على ما فاده أن المكان هو:« النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي » [4] كما عده بعدا متخيلا يحيط بالجسم، تكون أبعاده و أبعاد الجسم واحدة يعني هذا أن هذه مفاهيم متطورة تدل على عمق تفكير الفلاسفة العرب.

3-المفهوم الأدبي للمكان:

يمثل المكان مكون محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور وجود حكاية بدون مكان. فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد و زمان معين فالمكان هو:« مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر أو الوظائف أو

[1]- دكتورة غيداء أحمد سعدون شلاس" المكان و المصطلحات المقاربة له"، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 2، المجلد 11، 2011.

[2]- باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 172.

[3]- باديس فوغالي، نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[4]- باديس فوغالي، نفس المرجع ، نفس الصفحة.

الأشكال المتغيرة...) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية(مثل الاتصال بالمسافة) » [1]

فالمكان مرتبط ارتباطا وثيق بما يحدث داخل المجتمع من مختلف الحالات الظواهر و العلاقات التي تحدث بين الأشخاص و هي ما نسميها بالعلاقات المكانية.

يرجع العديد من الباحثين عن أهمية المكان في العمل الأدبي:« تكمن في تكوين حالات نفسية خاصة داخلنا، و ذلك من خلال جعله ساحة للأحداث تتقدم من خلال الصور و الشخصيات. فيصور الواقع أو الخيال الفكري بإنتاج فني يحفز القارئ أو المتلقي على مواصلة القراءة » [2]

كما ذكروا أيضا أن عنصر المكان و أهميته:« و قد تؤدي القراءة التأويلية حسب غوميرس إلى تحويل الوقائع، أو وقائع الحال، الى قضايا متباينة و مختلفة فيما بينها. كما أن ذكر المكان في النص الأدبي كثيرا ما يوحي بشخصية قاطنة لتأثيره، و تأثره بوجودهم » [3].

يعني أن أهمية المكان في العمل الأدبي ليست في ذاته، و إنما ما يؤديه من وظائف سخرها الأديب لخدمة مبتغاه.

---

[1]– نقلا عن يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تقديم و ترجمة سيرا قاسم دراز، مجلة عيون المقالات، العدد 8، 1987، ص 69.

[2]– باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 172

[3]– باديس فوغالي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

يعتبر عنصر المكان في العمل الأدبي و الروائي مهمة أساسية و لهذا يقول:« لكنها لا يمكن أن تصبح عنصرا ايجابيا فاعلا في بناء الرواية إلا بالترابط مع وعي الكاتب لمجموع مكونات الرواية و الإستراتيجية في التشي و الانتهاك » [1]

أي أن المكان يصبح له دور في بناء الرواية من خلال الوعي الكاتب لما هو موجود داخل الرواية و هذا عامل مساعد في الترابط بين هذين العنصرين.

يعد المكان في الأدب ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده أبعاد الهندسية و قياسات خاضعة لحسابات بل هو في الأدب:« إنما يتشكل في التجربة الإبداعية انطلاقا، و استجابة لما عاشه، و عايشه الأديب، أن على مستوى اللحظة الآنية ماثلا بتفاصيله و معالمه، أو على مستوى التخيل وافدا بملامحه و ظلاله و زاد هذا التأثير من خلال اهتمام الأدباء و الباحثين بهذا العنصر الروائي على مر العصور، بحكم أنهم يملكون المقدرة على إعادة إنتاجه، و إكسابه إمكانية التجدد و التواصل » [2] يعني هذا يتولد عنصر المكان من التجربة الإبداعية للأدب نابعة من واقع عايشه بكل تفاصيله و أنه غير محدد و بعيد عن تلك القياسات الهندسية المرسومة بدقة و مرتبط بجميع العناصر التي بني عليها.

يتحدث باديس فوغالي عن المفهوم الأدبي لظاهرة المكان في قوله:« انه الرحم الذي يتفاعل فيه الفرد الاجتماعي بكيانه و وجدانه، كما بإمكانه إبراز مختلف الأنشطة و السلوكيات الاجتماعية التي تعاقبت عليه، و ارتبطت خصائصها به » [3]. يعد هذا الأخير

[1]– الدكتور ابراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبر ابراهيم جبرا، مجلة الابتسامة، منتديات الابتسامة، يونيو، 2016.

[2]– باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص 181.

[3]– باديس فوغالي، نفس المرجع، ص 181.

عنصرا فاعلا و مهما في الحياة الاجتماعية و من خلال تفاعل الأفراد بكيانهم معه من خلال مختلف الأنشطة.

يتأسس عنصر المكان على اللغة فهو:« مكون لغوي تخيلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ من موجودات و صور » .[1] أي أن الروائي لا يتعامل مع مكان من خلال من رموز إشارات إنما اعتبر كل هذا مجرد رموز لغوية.

كما أيضا أن يخلق النص الروائي« عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة و أبعاده المميزة » [2] أي أن المكان الروائي العنصر القائم بذاته يتأسس على مقومات خاصة و خصائص.

و أيضا يتأسس المكان الروائي في خيال القارئ و ليس في العالم الموضوعي فقراءة رواية« رحلة في العالم الذي يعيش فيه القارئ و من اللحظة الأولى ينتقل القارئ إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي و يقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ » [3] بين أن ذلك لا يعني وجود قطيعة بين عالم الرواية و العالم الخارجي فهذا يعمل على تنمية الخطاب الروائي.

يتحدث غاستون باشلار عن مفهوم المكان أدبيا فيقول:« المكان الذي تنجذب نحوه و يجذب نحوه الخيال، لا يمكن أن يبقى ميالیا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش

---

[1]– جوداي هنية، صورة المكان و دلالته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل رسالة دكتوراه في الأدب و اللغات العربية، صالح مفقودة، 2013.

[2]– باديس فوغالي، نفس المرجع، ص 182.

[3]– باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 181.

فيه بشر، ليس بشكل موضوعي فقط، بل يكون ما في الخيال من تحيز، أننا نجد بنحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية » .[1]

بمعنى أن المكان الأدبي و الفني لا يجسد على أرض الواقع بل يقوم الراوي بتجسيده في روايته ليأخذ بالقارئ إلى الخيال الذي يجعله بدوره يجسد هذه الأمكنة في فكره.

تتحدث سهام سديرة عن المفهوم الأدبي للمكان فتقول عنه:« فالمعروف أن المكان الروائي هو اللفظي المتخيل أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض التخيل الروائي و حاجاته » [2].

يعني أن أدبية المكان و شعريته مرتبطة بإمكانات اللغة عن التعبير عن المشاعر و التصورات المكانية.

4-أهمية المكان في النص الروائي:

يشكل المكان عنصرا حيويا منم العناصر الفنية التي يتركز عليها العمل الأدبي، باعتباره العمود الفقري الذي يربط كل جزء من أجزاء العمل الروائي بعضها البعض من شخصيات و أحداث و سرد و لهذا يقول حميد لحمداني في كتابه بنيه النص السردي عن أهمية هذا الأخير كمكون للفضاء الروائي:« إن تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ أي شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيها انه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور، و الخشبة في المسرح، و طبيعي أن أي حدث لا يمكن

[1]- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترا غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 31.

[2]- سهام سديرة، بنية الزمان و المكان في القصص الحديث النبوي الشريف، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2008، ص 38.

أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني » [1]

بمعنى أن الأحداث التي تقع في الرواية لا يمكن أن تقع إلا بوجود عنصر المكان فيها فهو يقوم بنفس الدور الذي يقوم به كل هم الديكور على و الخشبة في المسرح.

يتحدث حميد لحميداني عن أهمية عنصر المكان في الرواية يقول:« و أهمية المكان تظهر خاصة في تشكيل العمل الروائي، و رسم أبعاده، ذلك أن المكان مراه تنعكس على سطحها صورة الشخصيات، و تتكشف من خلالها بعدها النفسي و الاجتماعي إذ يسهم في وسعها بمظاهرها الجسدية و لباسها و سلوكها و علاقتها بسواها فما أكثر الأحيان التي يتمكن الإطار البيئي المكان من، تحديد المنتسبين إليه و من كانت العناية به واضحة » [2]

يعني أن عنصر المكان من ابرز التقنيات في في الخطاب الروائي، فأهميته لا تقل عن أهمية الزمان و الشخوص لأننا بطبيعة الحال لا يمكن أن نتصور أحداث تقع خارج المكان.

تتجلى أهمية المكان من خلال تنظيم الأحداث تحريكها، و كذلك بفضل بنيته الخاصة و العلائق التي يقيمها مع الشخصيات و الأزمنة الرؤيات في هذا يقول حميد لحميداني عن أهمية عنصر المكان نحو قوله:« و لعل في ارتباط الروائي بالمكان الذي يشكل، أهم ما يكسبه حميمية خاصة، و قدرة مع التماهي مع أبعاده، و رسم جغرافية على

[1]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 1، 1991.

[2]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، نفس المرجع، ص2.

نحو يجعل من المكان الروائي قوة فاعلة قادرة على تحريك السرد، و المساهمة في بناء الحدث الروائي » [1]

يكتسب المكان أهمية كبيرة بالنسبة للسرد، فهو الذي يعطي لأحداث الرواية واقعيتها، فكل فعل لا يمكن تصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني، فهو جزء مهم و فاعل في حدث، فهو المحيط الذي تتحرك فيه المؤثرات الخاصة و العامة الشخصيات و الأحداث.

يعتبر عنصر المكان مهم في العمل الأدبي إذ لا يمكن الاستغناء عنه فلا وجود للمكان بدون رواية و لا رواية بدون مكان فهو يسهم في خلق المعنى داخل الرواية لذا يقول حميد لحميداني عن أهميته:« إن المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية و لا يكون دائما تابعا أم سلبيا بل أنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم، و هذا ما فعله الماركسية بروست، حين عمد إلى تدمير المكان الواحد و جعل الأمكنة دائما متداخلة بحيث بنسخ أحدهما الآخر اللحظة الواحدة » [2] بالمكان نفهم المعنى الذي تقصده الرواية نقلها للقراء هو تعبير عن موقف أو مشهد أو إحساس يجسده الأبطال داخل الرواية.

يعد المكان العناصر الروائية و له أيضا دور كبير في تحريك الأحداث الشخصيات و كما تبرز أيضا أهميته من أهم عناصر الراوي، فهو الموضع الذي تجري فيه الأحداث، تتحرك خلاله الشخصيات لذا يقول حسن بحراوي عنه:« المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد و إنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد

[1]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، المرجع السابق، ص 2.

[2]– حميد لحميداني، نفس المرجع، نفس الصفحة.

كالشخصيات و الأحداث و الرؤيات السردية » [1] بمعنى أن المكان تجمعه علاقة وطيدة بالمكونات السرد من شخصيات و أحداث.

يعد المكان عنصرا من عناصر البنية السردية، لا يمكن أن يؤدي وظيفته المرجوة الا من خلال العلاقات التي بينها مع سائر المكونات السردية الأخرى، مؤثرا فيها و متأثرا على حد سواء لذلك فانه يقول حسن بحراوي في هذا الصدد:« بقدر ما يصوغ المكان هذه العناصر يكون هو أيضا من صياغتها، و تلتحم هذه العناصر المكونة للنص الروائي و تكتمل الوحدة العضوية للعمل » [2] بمعنى أن المكان و السرد عنصران مهمان في النص الروائي فالمكان يؤدي مهمته داخل العمل الروائي من خلال العلاقات مع سائر المكونات السردية الأخرى من شخصيات و سرد ووصف و تحدث علاقة تأثير و تأثر بينهم.

يعتبر المكان عنصرا فاعلا في الرواية و لهذا يقول حسن بحراوي عن أهميته في قوله:« يتشكل كعنصر من بين العناصر المكونة للحدث الروائي، و سواء جاء في صورة مشهد وصفي أو مجرد إطار الأحداث فان مهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث » [3] يعد عنصرا بارزا في الحدث الروائي من خلال عملية تحريك الأحداث و تنظيمها.

كما يقول أيضا:« إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجرى به شيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي يجعلونا ننتظر

---

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصيات)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص25.

[2]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق، ص 30.

[3]– حسن بحراوي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

قيام حدث ما، و ذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث » [1] للمكان علاقة بالدراما و الأحداث و لا يمكن تصور وجوده بدون وقوع الأحداث داخله.

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها البنائية، أو الفضاء الذي تتحرك بداخله الأحداث و الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال و دراسات فضاء يحتوي كل عناصر الخطاب السردي، باعتباره المساحة التي تجسد وعي الكاتب ووجهة نظره من جهة، و لأنه الإطار الذي تتجسد داخلها الصبغة البنائية التي يأتي وفقها الخطاب في سير أحداثها من جهة أخرى.

فالمكان« ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا و يتضمن معاني عديدة، بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله » [2] يعني هذا أن المكان له أهمية كمكون للفضاء الروائي و أنه في العمل الروائي يتجاوز كونه مجرد خلفية تقع عليها الأحداث الرواية فهو لا يمكن الاستغناء عنه باعتباره محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية.

تبرز أهمية المكان انه من أهم عناصر الراوي، فهو الموضع الذي تجري فيه الأحداث و تتحرك خلاله الشخصيات لذا يقول حسن الجراوي عنه:« بأن المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد و إنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات و الأحداث و الرؤيات السردية » [3] بمعنى أن المكان تجمعه علاقة وطيدة بمكونات السرد من شخصيات و أحداث.

---

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق، ص 30.

[2]– حسن بحراوي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3]– حسن بحراوي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

حظي المكان باهتمام كبير في الدراسات الأدبية السردية و النقدية و من حيث كونه عنصرا أساسيا في بناء الرواية، لذا يقول محمد عزام عن أهميته داخل العمل الروائي:« تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب، بل و كعنصر حكائي قائم بذاته، إلى جانب العناصر الفنية الأخرى و المكونة للرواية » [1]

يعني أن المكان ليس مرتبط بالأحداث فقط، بل دوره أيضا يكمن في تأطير المادة الحمائية إلى جانب العناصر الروائية التي تقوم بدورها داخل الرواية و من خلال عملية التأثير الذي يحدثه على باقي العناصر.

يعد المكان وحدة أساسية من وحدات العمل الروائي، الى جانب الشخصية و الزمن و السرد، لذا يقول ياسين النصير أهميته في قوله:« بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه، و لذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يا يحل أي جزءا من أخلاقية و أفكار ووعي ساكنيه » [2] و كما يقول أيضا:« و من خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه و طريقة حياتهم و كيفية تعاملهم مع الطبيعة » .[3] بمعنى أن المكان له علاقة بالمجتمع فهو يمثل جزء مهم في المحيط الذي تتحرك فيه الشخصيات.

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها البنائية، أو الفضاء الذي تتحرك بداخله الأحداث و الشخصيات فحسب، بل لأن عناصر أخرى تشترك معه في بناء الرواية مثل تقنيات الوصف و السرد في هذا يقول بدر عثمان أن:« المكان الروائي

[1]– محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية، في أدب نبيل سليمان، ط1، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا، 1996، ص 111.

[2]– ياسين النصير، الرواية و المكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، ننوى للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، مجلد1، 2010،ص 13.

[3]– ياسين النصير، الرواية و المكان، نفس المرجع، نفس الصفحة.

طابعه اللفظي فيه، يجعله يتضمن كل المشاعر و التصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها، و إنما مكان يخلقه المؤلف في النص الروائي عن طريق الكلمات تجعل منه شيئا خياليا » .[1] يعني هذا أن المكان يشمل جزءا كبيرا في مجال الدراسة السردي فلكل طريقته الخاصة في رسم مكان الرواية.

يعد المكان من بين العناصر التي تشكل أغنية النص الروائي لأن باقي عناصر الرواية الأحداث و الشخصيات و الزمن لا يمكنها أن تقوم إلا بحضور مكان يجمعهم كما يكتسب أهمية أخرى فهو:« يثير إحساسا بالمواطنة، و إحساسا آخر بالزمن و المحلية حتى نحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه، فقد حمله عض الروائيين تاريخ بلادهم، و مطامح شخوصهم، فكان واقعا و رمزا، شرائح و قطاعات مدن و قرى، كيانا نلتمسه و نراه أو كيانا مبنيا في المخيلة و يمكننا أن نتلمس فلسفة المكان و إطاره، حدوده و ثقافته » [2] أي أن المكان يجعلنا نحس المواطنة فهو بمثابة الكيان الذي يبنى في المخيلة فهو مكون أساسي في بناء عنصر الروائي.

كما أيضا تظهر أهميته في أن يكون:« عاملا و فاعلا في الرواية، و إلا أصبح كتلة شحمية لا تضيف للرواية إلا الترهل، و من هنا كان المكان يلعب في بعض الروايات الرشيقة دوره البطولة و ليس عنصر بطالة » [3]

---

[1]– بدر عثمان، بناء الشخصية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، بيروت، 1986، ص28–29.

[2]– قصي جاسم أحمد الجبوري، المكان في روايات تحسين كرمياني، رسالة مستكملة لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها، منتهى طه الحراشة، 2016.

[3]– ياسين النصير، الرواية و المكان، نفس المرجع السابق، ص13.

أي أن للمكان دورا مهما في بناء العمل الروائي لولا هذا الدور لما أصبح كتلة شحمية ضيف شيئا للرواية، كذلك للمكان أهمية تظهر في أخذه الأولوية أدوار البطولة في بعض الروايات.

كما أيضا للمكان أهمية كبيرة في العمل الروائي:« يمثل المكان في العمل الروائي عنصرا مهما لا تقل أهميته عن بقية العناصر المكونة للعمل الروائي، فإضافة للدور المكمل لدور الزمان في تحديد دلالة الرواية فان له دور هام في تأطير المادة الحكائية، و تنظيم الأحداث، إذ يرتبط بخطة الأحداث السردية » [1]

أي أن للمكان دورا في العمل الروائي مثله مثل بقية العناصر الروائية الأخرى سواءا بتحريك الأحداث أو خطية الأحداث السردية.

ظهرت أهمية المكان عند كثير من الباحثين القدماء و المحدثين، إذ يرى بعضهم:« أن المكان حقيقة معيشة يؤثر في البشر بالقدر نفسه الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، و كل مكان مدين ما لم تجر عليه خبرة الإنسان، و تاريخ المعرفة هو تاريخ المعرفة بين الإنسان و الإنسان الذي اختبرها » .[2] أي أن للمكان علاقة و ارتباط بحياة البشر من خلال تبادل علاقة التأثير و التأثر بين المكان و الإنسان.

كما تحدث بعض النقاد عن أهمية هذا العنصر الروائي في بحوثهم و دراستهم تطبيقاتهم في النقد الروائي يقول:« المكان يعد إن كان عنصرا لا يكترث به، أصبح يعبر عن نفسه، من خلال أشكال معينة، و يتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس من خلال أشكال

[1]– بدر عثمان، بناء الرواية في روايات نجيب محفوظ، المرجع السابق، ص 30.

[2]–بدر عثمان، نفس المرجع، نفس الصفحة.

معينة، و يتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحيانا علة وجود الأثر » .[1] أي أن المكان أصبح عنصرا فعالا من خلال كذلك تعبير عن نفسية من خلال أيضا ظهور أشكال معينة.

يعد المكان من العناصر الهامة في تكوين حياة الإنسان و ترسيخ كيانه و تثبيت هويته و تأطير طبائعه، و تحديد تصرفاته و توجهاته و إدراكه للأشياء و يعد أيضا عنصر المكان الإنسان بتصوراته مفاهيمه و يكون دعامة أساسية لكل تصور إنساني و لهذا يقول سعيد حورانية عن أهمية المكان في قوله:« و تتراتب أهمية الأمكنة التي تحوي الإنسان لشدة أو ضعف علاقة الإنسان بها، و لعل ما يفسر أهمية المكان أكثر، و يعكس شدة تغلغله في كيان البشر هو أنه المنطلق لتفسير كل تصرف، فبحكم على سلوك الإنسان من خلال تواجده في المكان فضلا عن تعبير كل مفاهيم الإنسان الأخلاقية و النفسية و السلوكية » .[2] يعني هذا العلاقة التي تجمع بين الإنسان و المكان علاقة وثيقة و بالمكان يفهم تصرفات الإنسان كلها.

يمثل عنصر المكان في الرواية:« مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية دون مكان، و لا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد و زمن معين » .[3] أي أن للمكان أهمية في السرد من خلال تحريك الأحداث و تفاعل الشخصيات فيما بينها.

---

[1]– محمد عزام، فضاء النص الروائي، المرجع السابق، ص 111.

[2]– سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.

[3]– جوداي هنية، صورة المكان و دلالته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب و اللغة العربية، صالح مفقودة، 2013.

للمكان أهمية كبيرة في العمل الروائي من خلال أنه:« يكتسب المكان في رؤية الإنسان خصوصيته و قيمته و جمالياته من علاقة الكائن به ألفته له، و ليس من وجوده الموضوعي » .[1]

أي فهو يحمل دلالته في خلال ما يتحيز فيه، بمعنى أن هوية المكان تتحدد وفق ما يسجله عند الإنسان.

كما يمكن القول أن:« للمكان أثر عميق على كل مناحي الحياة، و له حضور كثيف في النفس الإنسانية، حيث مع المكان يقع الإنسان في ظل استشعار العواطف الذاتية، الإنسان في تعامله مع الإنسان يتحسس و يدرك معاني الألم و اللذة » .[2] أي أن هناك علاقة بين الإنسان و المكان فالمكان لا قيمة له إلا في درجة علاقته بالإنسان.

تتجلى أهمية المكان في انه:« ترتبط حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالمكان فهو يقيم علاقة وطيدة معه من لحظة ميلاده، فتتنامى و تتفاعل و تتجذر أحيانا و تندمج معه فيصير ملازما له هويته مرتبطة به، لا يقوى على تجاوزه و لا إعلان الانفصال عنه فتصبح فعاليات المكان سمات تدخل في التكوين الجمعي للمتعايشين فيه و تستمر حتى يعد موت الإنسان » .[3] أي هناك علاقة تأثير بين المكان و الإنسان.

تظهر أهمية المكان في قوله:« لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو عنصر غالب في الرواية حامل لدلالة، و يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية، لذا يرى البعض أن العمل

[1]– أحمد مولاي لكبير، العناصر المكانية و التأثيثات المشهدية في الرواية المغاربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تخصص نقد حديث و معاصر، مصطفى منصوري، 2017.

[2]– ياسين النصير، الرواية و المكان، المرجع السابق، ص 13.

[3]– ياسين النصير، نفس المرجع، نفس الصفحة.

الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته، و بالتالي أصالته » .[1] أي أنه عنصر مهم في بناء العمل الروائي و بدونه يفتقد خصوصيته و أصالته إذا غاب عنصر المكان داخل الرواية.

يعد عنصر المكان عنصر المكان عنصرا أساسيا تدور حولها الرواية من خلال:« فالمكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية، و لا يكون دائما تابعا أو سلبيا بل أنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان للتعبير عن موقف الأبطال في العالم » .[2] أي أن له قدرة في تأثير لرؤى الأشخاص و التعبير عن مواقفهم و خلق المعنى داخل العمل الروائي.

يعد عنصر المكان من عناصر الفنية في بناء الرواية، و لهذا العنصر أهمية في البناء الروائي:« إن للمكان أهمية بوصفه ملموسا، إذ باستطاعة الأديب أن يوظفه لتجسيد الأفكار و الرموز و الحقائق المجردة أو بالتالي تقريبها من الواقع » .[3]

و للمكان أهمية في الواقع الإنساني تلك الأهمية الناتجة بين المكان منذ بدء الخلقية، إذ يمكن القول:« إن للأشياء تاريخا مرتبطا بتاريخ الأشخاص، إن الإنسان الحقيقي يتألف من الجسم » .[4]

---

[1]– باشلار غاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ص5.

[2]– عمر وعيلان، الإيديولوجي و بنية الخطاب الروائي(دراسة سوسيويتائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة) منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص212.

[3]– بسام علي أبو بشير، جمالية المكان في باب الساحة لسحر خليفة، مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد15، العدد2، غزة فلسطين، ص237.

[4]– المرجع السابق

تظهر أهمية المكان في قول جبر إبراهيم جبرا في مجلته الابتسامة في قوله:« أصبح بمثابة مرآة تعكس الصدى النفسي للشخصية حيث يتماثل دلالة و تركيبها مع من يحتمل في أعماقها، فالمكان إذ لم يعد إطارا بل أنه يحتل صدارة العمل الروائي أحيانا، فيتم تشخيصه، ازدادت أهمية المكان في الرواية الحديثة إذا بدأ بالتعبير عن استقلاله عن استقلال التام بوقوعه في الخارج، يؤطر الأشياء و يخضعها لسلطته، و من أهم الأساليب التي اتبعت تجسيد المكان أسلوب الوصف » .[1]

يعني هذا أصبح المكان تعبير نفسي و معبر عما تحمله شخصيه في أعماقها و تعبير أيضا عما يكون في الخارج من الأحداث.

يشكل المكان دورا هاما في البنى السردية للنص و غيره من الفنون الأدبية الأخرى، فبنية المكان تؤطر لنا الهيكل العام الذي يبني عليه الحدث و تسير وفقه الشخصيات هو كذلك:« من أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب و تحليل شخصياته النفسية، لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر و حسي و صراعه معه ما إلا تأكيد لذاته و تأصيل لهويته » .[2]

يعني أن المكان له قابلية تأثير على فكر الروائي فالروائي دائم الحاجة إلى تأطير المكاني و لا يمكن الاستغناء عنه في العمل الروائي.

تظهر أهمية المكان بكونه أصبح عنصرا حكائيا مهما، إذ هو الجغرافية الخلاقة للعمل الفني بحيث يعتبر:« الإطار الذي تنطلق منه الأحداث، و تمارس فيه الشخصيات تحركاتها و يمثل المرآة العاكسة لحالتها النفسية فالشخصية لا تكتسب أهميتها إلا من خلال

[1]– دكتورة إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبر إبراهيم جبرا، مجلة الابتسامة، منتديات الابتسامة، ط1، 2016.

[2]– صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، ط1.

تفاعلها مع المكان المتواجدة فيه، فيتعدى المكان كونه خلفية للأحداث بتفاعله مع الشخصيات و الأحداث و الزمن » .[1] يعني هذا أنه يتفاعل و يؤثر في جميع عناصر العمل الأدبي من شخصيات و أحداث و زمن.

و كما تظهر أهميته أيضا في قوله:« الأرضية الفكرية و الاجتماعية التي تحرر فيها مسار الشخوص، و يذكر وقوع الأحداث ضمن زمن داخلي نفسي يخضع لواقع التجربة في العمل الفني » .[2] يعني أيضا للمكان صلة كبيرة بحركة الشخصيات و بوقوع الحدث و بعامل الزمن داخل العمل الأدبي.

يعتبر عنصر المكان أداة مهمة في العمل الروائي لهذا يقول حسن نجمي عن أهميته:« يلعب دورا هاما في تكوين هوية الكيان الاجتماعي، و في التعبير عن المقومات الثقافية، و قد أثرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية و الجمالية التي تحرك الشعوب في جميع أرجاء العالم » .[3]

أي أن المكان جزء من المجتمع و به يعبر عن كل مقوماته و يساهم في التأثير على سلوكيات الأفراد.

---

[1]– بن موسى فريدة إبراهيم، زمن المحبة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، دار عيداء للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2011، ص421.

[2]– ضياء غنى لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، ص117.

[3]– حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.

5-المفهوم و إشكالية تعدد المصطلح:

اهتمت الدراسات الحديثة بعنصر المكان، حيث أصبح عنصرا حكائيا مهما، إلا أن هذا الاهتمام جعل الباحثين يواجهون إشكالية أعاقت دراستهم لهذا العنصر، و هي قضية تعدد المصطلحات و تداخلها مع مصطلحات كثيرة أبرزها مصطلح: الفضاء.

الفضاء :

يرى جيرار جنيت أن الفضاء يتعدى بكثير مجرد الإشارة إلى مكان معين فالفضاء« يخلق نظاما داخل النص، مهما بدأ، في الغالب كأنه انعكاس صادق لخارج النص الذي يدعي تصويره، بمعنى أن دراسة الفضاء الروائي ترتبط ارتباطا وثيقا بالآثار التشخيصية » .[1]

أي أن كل ما يحدث في تشكيل النص يمكن أن يساهم في تكوين و تمثيل الفضاء الروائي، فيصبح و كأنه تصوير لما هو خارج النص.

يقول حسن نجمي عن عنصر الفضاء في كتابه شعرية الفضاء" كل نص فضاء " يعتبر حسن نجمي فضاء النص كما يذكره أيضا في قوله:« إن الفضاء الروائي ليس مجرد تقنية أو تيمه أو إطار للفعل الروائي، بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية » .[2]

أي أن الفضاء ليس إطار للفعل الروائي في ميدان الكتابة الروائية.

كما يقول أيضا:« كما هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات و الأشياء و الأفعال، و بقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء، بل يمكننا القول، إن

[1]- جيرار جنيت و آخرون، الفضاء الروائي، عبد الرحيم جزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص20.

[2]- حسن نجمي، شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1،2000، ص32.

تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء، بل يمكننا القول، إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء أساسيا » [1] بمعنى أن لا يمكن لأي كائن عيشه خارج الفضاء.

يتحدث حميد لحميداني في كتابه بنيه النص السردي في قوله عن الفضاء و قد حدد مفهوم الفضاء بأربعة أشكال هي:«

- **الفضاء الجغرافي:** هو الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال.
- **فضاء النص:** هو فضاء مكاني أيضا، غير أنه متعلق بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية.
- **الفضاء الدلالي:** يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي و ما ينشأ عنها من بعض يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.
- **الفضاء كمنظور:** يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي، بم فيه من أبطال يتحركون على واجهة الخشبة في المسرح [2]».

أي أن الفضاء عند حميد لحميداني تنوع و تعدد في العمل الروائي، كالفضاء الجغرافي، و فضاء النص، و ما تشغله مساحة الكتابة و الفضاء الدلالي مختص بتحديد الدلالة و الفضاء كمنظور هي تلك الطريقة التي قدمت فيها القصة.

تحدث عبد المالك مرتاض في كتابه في نظرية الرواية عن مصطلح الفضاء في قوله:« و الفضاء (و هو المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب المعاصرين)، جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر، بحيث لا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية

[1]– المرجع السابق، ص32.

[2]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1993.

التي كتبت منذ ثلاثين عاما، و لقد جاء استعماله نتيجة لآلاف المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة العربية » .[1]

أي أن مصطلح الفضاء كثير الاستعمال لدى النقاد العرب المعاصرين و أنه ظهر جديدا في الاستعمال النقدي العربي المعاصر.

يتحدث محمد عزام عن الفضاء في قوله:« يمكن اعتبار الفضاء الروائي هو مجموع الأمكنة المحددة جغرافيا، و التي هي مسرح الأحداث و ملعب الأبطال » .[2]

أي أن الفضاء بالنسبة لمحمد عزام أمكنة الرواية جميعا و محددة جغرافيا، يتطرق أيضا جوزيف اكسير في كتابه شعرية الفضاء الروائي على مصطلح الفضاء و قوله:« إن الفضاء هو نوع من الوسط غير المحدد. حيث فيه الأمكنة، و هذه الأمكنة جزر في الفضاء، أكوان صغرى منفصلة » .[3] حيث شبه المكان أنه جزر في الفضاء.

المكان:

كان عنصر المكان محل جدال و اختلاف بين الباحثين و النقاد حول تحديد مفهومه لهذا نجد في لسان العرب أن المكان:« هو الموضع و الجمع أمكن كقذال و أقذلة و أماكن جمع الجمع » .[4] أي أن المكان هنا معناه هو الموضع.

---

[1]– عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني الثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ديسمبر، 1998، ص122.

[2]– محمد عزام فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا، ط4، 1996، ص55.

[3]– جوزيف اكسير شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن أحمامة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، د.ط، 2003، ص20.

[4]– الدكتور الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2010.

كما يتحدث شريف حبيلة في كتابه بنية الخطاب الروائي عن عنصر المكان في قوله:« لذا تعد دراسة المكان كعنصر بنائي يساهم في تشييد الرواية ضرورية لكشف و معرفة خصائص هذا الفن و ما يميزها من روائي إلى آخر، و لما كانت دراستنا تتأسس منهجيا على ما قدمته الدراسات و الأبحاث المختصة، فان اطلاعنا على البعض منها بين لنا أن عنصر المكان لم يفرد بدراسته خاصة تنظر له، إنما هناك دراسات متفرقة تشغل كل منها بمصطلحات خاصة » .[1] أي أن عنصر المكان مهم في العمل الروائي، فلم يقم بدراسة خاصة له، بل قام بدراسات متعددة تفرغت إلى مصطلحات خاصة.

ذكر حسن بحراوي بحراسة في بنية الشكل الروائي، المكان بوصفه و عرفه في:« بوصفه عنصرا شكليا فاعلا في الرواية لما يتوفر عليه من أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائية و تنظيم الأحداث و الحوافز » .[2] أي أنه له دور أساسي في تحريك و تنظيم الأحداث و تأطير المادة الحكائية.

كما تطرق عماد الهادي الخفاجي في صحيفة التآخي على مفهوم المكان اعتبر المكان في قوله:« جزء لا يتجزأ من الفضاء » [3] كما يتحدث عن مصطلح المكان في قوله أيضا:« إن المكان هو حقيقة ملموسة في الفضاء بحيث يؤثر و يتأثر بالمحتوى الفضائي » [4] أي أنه المكان و الفضاء هناك علاقة التأثر ووجودها معا يعني التكامل.

---

[1]– الدكتور الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، المرجع السابق.

[2]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990.

[3]– عماد الهادي الخفاجي، مفهوم الفضاء والمكان و الحيز، صحيفة التآخي، دار التآخي للطباعة و النشر، بيروت، أوت 2013.

[4]– عماد الخفاجي، مفهوم الفضاء و المكان و الحيز، المرجع السابق.

كما تطرق ياسين النصير لمصطلح المكان بقوله:« الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه، لذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقية و أفكار ووعي ساكنة » [1] أي أنه لا يظهر في النص الروائي كشيء معزول إنما يظهر إنساني مرتبط بالسلوك البشري.

كما ينظر الدكتور عبد الفتاح عثمان للمكان: " باعتباره رقعة جغرافية إلى دلالته الواسعة التي تشمل البيئة بأرضها و ناسها و أحداثها و همومها و تطلعاتها و تقاليدها و قيمها، حيث يصبح المكان كائنا حيا، يمارس حركته في الخطاب يؤثر و يتأثر بباقي المكونات الروائية خاصة الشخصيات" بمعنى أن ليس عبارة عن رقعة جغرافية فقط بل تتجاوز قيمته بأن تنجز عناصر أخرى أحداث خارج عن أحداثه فهو البيئة التي تتحرك فيها و تمارس حياتها و لا يكتسب هو قيمته إلا إذا اخترقته الشخصيات.

يتحدث إدريس بوديبة عن عنصر المكان و يمثله بمجالين في قوله:« المكان الإطار و المكان الفعل، الأول: هو ديكور الحدث الذي يهبه له شروط وجوده، و الثاني: هو لحظة التنوير المقترنة بمركزية الحدث الروائي » [2] أي أن المكان مجالان هما الإطار و الثاني الفعل.

تعتبر سيزا قاسم مكان الرواية« ليس المكان الطبيعي بل هو خيالي له مقومات خاصة و أبعاده المميزة و دراسته تعتمد على تشكيل عالم المحسوسات فقد تطابق عالم

---

[1]– ياسين النصير، الرواية و المكان، دار الحرية للطباعة، بغداد،دار بنيوي للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، مجلد1، 2012، ص13.

[2]– ينظر، إدريس بوديبة، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000، ص186.181.

الواقع و قد تخالفه في صور و لوحات تستمد بعض أصولها: الفن، الرسم، التصوير » [1] أي أنها تعتبر الرواية شبيهة بالفنون التشكيلية في توظيفها الفضاء المكان الذي يقوم بدور أساسي في بناء الخطاب الروائي.

يرى عز إسماعيل أن المكان هو:« حقيقة المكان النفسية تقول أن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة، أو وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية » .[2]

أي أن عنصر المكان يعتبر يعتبر حقيقة نفسية فهو وسيلة تسهل التعامل بين الناس. كما يقول عن المكان عند الناقد نفسه« ليس بناء خارجيا مرئيا، و لا حيزا محدد المساحة، و لا تركيبا من غرف و أسيجة نوافذ، بل هو كيان من الفعل المير و المحتوى على تاريخ ما، أو المضمحة أبعاده بتواريخ الضوء و الظلمة » [3] أي أن عند عز إسماعيل المكان ليس بمثابة حيز و لا شكل من غرف و أنسجة و نوافذ بل هو كيان.

يعتبر المكان العمود الفقري الذي تقوم عليه الرواية فهو:« إذ يتميز بوصفه المكون الذي يحتوي على بقية العناصر، و يتبلور في ضوئها، و يعمل في أحيان كثيرة على توجهها و يكشف عن الرؤية الحضارية الاجتماعية التاريخية للمساحة الجغرافية التي قدمت في النص الروائي » .[4]

---

[1]– سيزا قاسم، بناء الرواية(دراسة مقاربة لثلاثية نجيب محفوظ) دار التنوير، بيروت، ط1، 1985، ص74.

[2]– دكتور بسام علي أبو البشير، "جماليات المكان في رواية باب الساحة لسحر خليفة"، مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية)، العدد الثاني، فلسطين، أوت 2007.

[3]– المرجع السابق.

[4]– فيصل غازي النعيمي، العلامة و المكان(دراسة سمائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف)، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2009–2010، ص111.

أي أنه حاويا لجميع الأشياء في الرواية، و المفسر للكثير من أفكارها و رؤاها الحضارية و التاريخية و الاجتماعية و النفسية بحكم الإحاطة الموجودات و الأشخاص.

تتحدث سيزا قاسم عن المكان فعرفته بأنه:« الإطار الذي تسير عليه الأحداث في الرواية » [1] أي أنه المكان هو الموضع الذي تمثله فوقه الأحداث و تسير عليه.

كما تحدث أيضا شريف حبيلة عن عنصر المكان في قوله:« نجد أن المكان هو جغرافية العمل الفني أي الحدود التي ترسم عليها الأحداث الجارية حيث اعتبره جزءا من الحدث و تابع و خاضع له كليا، يشكل به الروائي ما شاء » [2] أي أن المكان بالنسبة لشريف حبيلة جزء من الحدث و يخضع له كله.

تميز سيزا قاسم الفضاء عن المكان في قولها:« و عليه فالفضاء أعم من المكان فهو يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من أمكنة و حوادث و شخصيات و ما بينها من علاقات، فالفضاء لا يرتبط باللحظات الوصفية فقط بل، يمتد لسيطرة الأحداث و الأمكنة دون التلازم مع السيرورة الزمنية، بينما يعد وسيلة أساسية لرسم معالم المكان لأنه محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات و الكاتب عندما يصف لا يصف واقعا مجردا و لكنه واقع مشكل تشكيلا فنيا » [3] أي أنه الفضاء يحوي كل أشكال العناصر الروائية.

ميز حميد لحميداني بين الفضاء و المكان فيقول:« إن الفضاء في الرواية هو أوسع و أشمل من المكان، انه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة

---

[1]– سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقاربة لثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985.

[2]– شريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2010.

[3]– سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقاربة لثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985.

الحكي، سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة و بطريقة ضمنية مع كل حركة حكائيا » .[1] أي أن حميد لحميداني ميز الفضاء عن المكان من حيث أنه أوسع من عنصر المكان خاصة فيما يخص سيرورة الحكي.

و نجد ان غاستون باشلار يرى أن المكان أكبر من كونه حيزا ذلك لأنه:« كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى » [2] في حين غاستون باشلار يرى أن المكان أكبر من الفضاء.

نجد سعيد يقطين يتفق مع حميد لحميداني في تميزه بين الفضاء و المكان في قوله:« إن الفضاء أعم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد و أعمق من التحديد الجغرافي و إن كان أساسيا » .[3] أي أن الفضاء أسبق من المكان من حيث الإشارة إلى ماهو أعمق.

و في الأخير يمكننا أن نقول أن جميع هاته التعريفات كل من المكان و الفضاء، و بالرغم من الدراسات من قبل النقاد في هذا المجال، إلا أن الإشكالية لا زالت قائمة، فهي لم تصل إلى تعريف شامل. حاولنا تقديم فروقات بين هذه التعريفات لتفريق كل مصطلح على حدى.

---

[1]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص64.

[2]– غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2، 1984، ص6.

[3]– سعيد يقطين، قال الراوي(البيئات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997، ص240.

1: التشكلات المكانية في رواية ضباب آخر النهار:

يعتبر المكان من أهم عناصر العمل الروائي، ذلك أنه يقوم بدور فاعل في بنائها وتركيبها، فمنه تنطلق الأحداث وتسير فيما بينها في الرواية، وسأحاول في هذا العنصر رسم ملامح البنية المكانية في الرواية عن طريق حصر الأمكنة وكيفية تعبير المؤلف عنها وإبرازها، فالروائي جسد مجموعة من الأمكنة تنوعت بين المفتوح والمغلق.

– سنعرض بعض الأمكنة المفتوحة والأماكن المغلقة وإبراز دلالتها وأهميتها في النص الروائي في روايته.

1-1: الأماكن المفتوحة:

أ- المدرسة:

ركز الروائي أهم مكان مفتوح في الرواية، ومنحه السيادة والأولوية ألا وهو المدرسة التي أسهمت في تحريك الأحداث من خلال قوله: « وطئت قدماه المدرسة، وكان الجو خريفا، ولطيفا بعد صيف حارق شغل طبوع القبظ »[1]

حيث إن الرواي وصف الجو الذي كان فيه، ودخوله للمدرسة أول مرة فهذا المكان يمثل الحدث الأبرز والأهم في حياة الرواي فهو يمثل نقطة الانطلاق في حياته الدراسية نحو تحقيق طموحاته التي يرغب وصول إليها، فالمدرسة كررها الروائي أكثر من مرة من أجل استرجاع ذكرياته.

[1] – مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، ص3

ب-**الحقل:**

هو مكان تواجد المحاصيل الزراعية والخيرات، ذكرها الرواي في هذه الرواية لأنه محل رزقه في قوله « جرفت جزءا كبيرا من أشار الزيتون التي تقانى" سي صالح" فذهبت هده في لحظة جنون السماء فنزل الحدث عليه مخيما على حياته، فهو لم يتوقع حم الكارثة إلا بعد معاينة الأضرار الجسيمة، التي لحقت بالحقل»[1] في هذا تعبير عن حزنه الكبير جراء الأضرار والخسائر التي لحقت العقل بعد بذله الجهد من أجل أن يتحصل على المحاصيل كثيرة، فهذا المكان يمثل بالنسبة إليه محل كسب الرزق.

1-2: الأماكن المغلقة:

يكتسي المكان طابعا خاصا من خلال تفاعل الشخصية معه، ومن خلال مقابلته لفضاء أكثر انفتاحا واتساعا، وأيضا هو الذي ينتقل فيه الإنسان ويشكله حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عمره، حيث جعل الروائيون هذه الأمكنة اطارا ومنطلقا لأحداث قصصهم وتحرك شخصياتهم.

يمثل المكان المغلق: « غالبا الحيز الذي يحوى حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح فهو الملجأ والحماية التي يطلبها ويأوي إليها الإنسان بعيدا عن ضجة الحياة»[2].

أي إن المكان هو الحيز الذي تشكله حدودا تعزله عن العالم الخارجي من الأمثلة المكان المغلق في الرواية، نجد المكان الذي يعيش فيه سي فرحات الطاكسي، أبو كمال من خلال

---

[1] – مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، ص21

[2] – أوريدة عبود: المكان في القصة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص51

قوله: « لا يدخل إلى منزل أبيه إلا في اللّيل خشية بطشه»[1] وهنا المنزل هو المكان المغلق حيث يعيش فيه فرحات الطاكسي أب كمال الرواية فهو بمثابة الملجأ والمكان الذي يلجأ إليه في نهاية يومه.

ونذكر الأماكن المغلقة في الرواية

أ- **البيت:** يمثل فضاء مكانيا هاما في حياة الإنسان ويظهر من خلال **غاستون باشلار**: « بدون البيت يصبح الإنسان كائنا مقتتا، أي أن **غاستون باشلار** يبرز أهمية البيت في حياة الأنسان وكما يقول أيضا: « ركنا في العالم إنه كما قيل مرارا كوننا الأوّل»[2] أي أن الإنسان منشأه الأول هو البيت وعالمه.

ظهر البيت في رواية "ضباب آخر النهار فيما يلي في قول الروائي « على رغم من حالة الفقر المدقع الذي عشش طويلا في البيت إلا أن أمه بقيت صامدة»[3]

من الأماكن الأخرى المذكورة في رواية ضباب آخر النهار منها:

ب-الغرفة: فهي بمثابة مكان استراحة واطمئنان للإنسان، لهذا يقال عن هذا الأخير أنها: « فالغرف في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها، تصبح غطاء للإنسان يدخلها فيخلع جزءا من ملابسه، ويدخلها ليرتدي جزءا آخر وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر، وإذا ما اطمأن تماسكها بدأ بالتعري فيها السدي والفكري، لكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه ويبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص»[4]

---

[1]- مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، ص111

[2] - غاستون باشلار: جمليات المكان، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تر: غالي هل...، ط2، بيروت، ص 31

[3] - مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار

[4] - ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي) ، دار....للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط2.

في رواية ضباب آخر النهار تجسد لنا مصطلح الغرفة بشكل ضئيل ويظهر من خلال قول الروائي: « كانت الغرفة مزينة بأزهار ....مختلفة الألوان والتلفاز يبث بلا توقف نشرات الأخبار حول الموت الحجاني في البلاد العربية»[1] فالغرفة بالنسبة للروائي مكان راحة للمشاهدة والتسلية والترفيه عن النفس، فيجد فيها راحته.

ج- الجامعة:

تعد الجامعة من الأماكن المغلقة، إذ تمثل التدريب على صناعة المعرفة والمؤسسة الأكاديمية المعنية بشؤون العلم.

فهي تسهم في تعليم وتثقيف الطلبة، كذلك تفتح أفكارهم على عوالم أخرى، ومن خلالها يتم التبادل والتواصل بين مختلف الأشخاص ومن مختلف الشخصيات ويبرز ذلك من خلال قول الروائي: « يتذكر جيدا عندما حط جسده النحيف في مدرج الجامعة وهو يتابع باهتمام أول درس في الكمياء، كان دائما وأبدا مولعا بكل ما هو كيمائي»[2] فهي مكان لتحقيق طموحات ورغبات الطلبة ويظهر اهتمام كبير من طرف كمال للكمياء وحبه الشديد لكل ماهو له علاقة بالكمياء فالجامعة من خلالها تحقق وتلبي كل طموحات الطلبة في جميع مناحي الحياة.

2- علاقة المكان بالمكونات السردية:

يكون المكان علاقات كثيرة مع المكونات السردية الأخرى، في أي عمل روائي كما يقول حسن بحراوي على المكان« ...لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل

---

[1] - الرواية، ص، ص107

[2] - الرواية، ص55

في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد »[1]

يعني أن المكان بدون هذه العناصر السردية لا يكتمل دوره داخل العمل الروائي وبهذا يمكن أن نتوصل إلى الفهم والتأويل الصحيح لأي عمل روائي يكون بحوزتنا كما يقولل أيضا حسن بحراوي: « والمكان الذي يقتضي وجود الشخصيات والأحداث وليس العكس»[2] فهو يصرح بأن عنصر المكان يستلزم وجوده تواجد الشخصيات.

نجد في رواية "ضباب آخر النهار" عدة الأماكن تخلتها عدة الشخصيات من هذه الأماكن نذكر المدرسة في أوّل ما ذكر في الرواية

يتذكر السارد طفولته وهو دخول المدرسة لأول مرة وهذا المكان يدل على حدث مهم تعيشه الشخصية الرئيسية في الرواية ومثال على ذلك في الرواية من خلال قوله:« وكانت البداية عندما وطئت قدماه المدرسة وكان الو خريفا ولطيفا بعد صيف حارق شغل طبوع القبظ»[3]

يصف لنا الرواي الحالة التي كانت عليها الشخصية والجو كان خريفا ولطيفا أسهمت في إبراز الحدث المهم في حياته وهو دخوله المدرسة لأوّل مرة وإن ظهور هذه الشخصية أسهم في نمو الأحداث، وساعد على تشكيل البناء المكاني في النص الروائي.

يتحدث حسن بحراوي عن الإرتباط الوثيق بين الأمكنة والشخصيات في قوله: « فبالرغم من أن تقديم الأمكنة في الرواية يأتي مرتبطا بتقديم الشخصيات فإن هذه الأخيرة لا تخضع كليا للمكان بل العكس هو الذي سيحصل إذ أن الأماكن في هذه الحالة هي التي

---

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

[2] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع نفسه.

[3] – مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، الرواية، ص3

سيوكل إليها مساعدتنا على فهم الشخصية»[1] أي أنه هناك علاقة تأثر و تأثير بين كل من المكان والشخصيات ولا يمكن فصل المكان عن الشخصيات في العمل الروائي.

وتعد الشخصية الروائية ركيزة أساسية في الرواية، تسهم في تكوين المكان وبناءه عن طريق حركتها التي تثبت الحيوية فيه.

وفي رواية" ضباب آخر النهار" تتجسد لنا هذه العلاقة من خلال الشخصية الرئيسية" كمال" والمكان وكذلك الشخصيات الثانوية الأخرى.

فقد حرص الروائي على اختيار المكان الملائم للشخصية الأساسية خلال توضيف المدرسة كمكان مفتوح لتبيان حالة الشخصية وإبراز ملامحه ويظهر في قوله: « وكانت البداية عندما وطئت قدماه المدرسة»[2] وفي قوله أيضا: « وقف كالصنم مودعا خاله»[3] أي أنه تبين حالة كمال عندما دخل إلى المدرسة لأول مرة. وقوله أيضا « بقي ذاهلا»[4] أيضا أي أنه حالة نفسية تعيريها الخوف والدهشة لأنه لم يألف هذا المكان الجديد (المدرسة) مما ولدت عندها حالة نفسية خاصة.

2-1- علاقة المكان بالشخصيات :

تطرقت بعض الدراسات النقدية إلى الحديث عن العلاقة الموجودة بين المكان والإنسان وهذا ما أكده حسن بحراوي في قوله: « أن المكان يبدو كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر والحدوس حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على الآخر» [5] بمعنى أن هناك علاقة التأثير و التأثر بين الإنسان والمكان.

---

[1] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق.

[2] – مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، الرواية، ص3

[3] – مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، نفس المرجع، نفس الصفحة.

[4] – مصطفى ولد يوسف، نفس المرجع، نفس الصفحة.

[5] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990

يضيف عمر عاشور: « أن جغرافية المكان من ملامح وأبعاد هندسية لا تحدد إلا من خلال حركة الشخصيات فيه»[1]

بمعنى أن الشخصيات تسهم بشكل كبير في تشكل عنصر المكان داخل الرواية.

ويضيف أيضا خالد حسين في قوله: « فالإنسان دائما يعلن عن حاجته إلى إقرار بوجوده والبرهنة على كينونته من خلال الإقامة في مكان ثابت، حينما نتابع حركة الشخصيات تنشأ لدينا بصورة غير مباشرة إحساس بوجود المكان[2] أي أن حركة الشخصيات لايمكن أن يكتمل دورها في العمل الروائي إلا بتواجد عنصر المكان فيها لأهميته في تشكل وبناء العنصر الروائي.

انتقل الروائي من شخصية كمال إلى شخصية سي صالح جد كمال الذي أراد الزواج مرة أخرى بعد موت زوجته ويظهر من خلال قوله: « مازالت المرحومة لم تنشق قبرها وها هو سي صالح يريد أن يستخلفها بأخرى»[3] يؤكد رغبة ملحة من جد كمال في الزواج مرة أخرى والروائي انتقل من شخصية كمال إلى شخصية سي صالح لتبيان الأحداث الأخرى حصلت في الرواية وبداية الصراعات.

عمد الروائي إلى ذكر مكان آخر في الرواية وذكر والد الشخصية كمال "سي فرحات الطاكسي" ، خاصة بعد زواج أبيه ومعاناته من بطش زوجة أبيه، ويتجسد ذلك في قوله: « حيث كان يقضي أيامه بين دار العمة فروجة والحقل ولا يدخل إلى منزل أبيه أثر في نفسيته كثيرا وكان يعيش ما بين مكانين بين دار عمته فروجة والحقل فهو يحد فيها الأمان

---

[1] – عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، السنة الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دارهومة، الجزائر، 2016، ص38.

[2] – خالد حسين–حسن، الفضاء الروائي والعلاقات النصية، مجلة المعرفة ، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة العربية السورية. ص39.

[3] – مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، الرواية، ص11

والإستقرار وليس هناك خوف من زوجة أبيه، فانتقل من مكان آمن إلى مكان مخيف بعد زواج أبيه والمعاملة السيئة لزوجة أبيه»[1]

لجأ الروائي إلى توظيف مكان آخر وهو الحقل مصدر رزق " سي صالح" جد كمال الذي تفانى في رعايته ولم يتوقع أن كمية الأمطار التي نزلت تضر بالحقل ويظهر من خلال قوله: « فهو لم يتوقع حجم الكارثة إلا بعد معاينة الأضرار الجسيمة التي لحقت بالحقل»[2] فقد اعتبر سي صالح الحقل بمثابة المصدر الرزق الذي يعيش منه، وهو أيضا المكان الملجأ يقضي يومه فيه بكل جد ونشاط، وهذا إبراز علاقة بين كل من مكان الحقل وشخصية سي صالح علاقة الإنسجام والتوافق، فهناك علاقة حميمية بين الشخصية والمكان(الحقل).

ويوظف الروائي مكان آخر يرتبط شخصية كمال ابن فرحات الطاكسي كثيرا وهي الإبتدائية هذا يظهر في قوله: « يتذكر كمال سنوات الإبتدائية ، قصة تعلقه بمعلمته دنيا إمرأة رزينة، ذات وقار» [3] فهذا يظهر مدى تعلق كمال وحبه الشديد للإبتدائية بفضل معلمته دنيا ويبين أيضا مدى ارتباط الشخصية كمال بالمكان وألا هو المدرسة الإبتدائية وهنا نستنتج أن العلاقة التي جمعت كمال بالإبتدائية علاقة الألفة بواسطة المعلمة دنيا فهي التي حببت المكان بالشخصية كمال (الإبتدائية).

تظهر شخصية المعلمة دنيا بشكل متكرر في الرواية فهي معلمة لطيفة مع التلاميذ وكان كمال في مقدمتهم وحبه الشديد للمعلمة يظهر في قول الروائي: « كانت المعلمة دنيا

---

[1] – المرجع السابق، ص11

[2] – الرواية، ص21

[3] – الرواية، ص21

بمثابة ...يتغذى منها الصف، وكمال في مقدمتهم. كان حائرا في قلبه الذي يخفق كلما سألته»[1]

فهذا المكان ألا وهو المدرسة الذي ركز عليه الروائي في الرواية وكرره إنما يدل على العلاقة المتينة التي تربط كمال بمعلمته دنيا وبالمكان أيضا (المدرسة) فقد تركت المدرسة أثرا كبيرا مفي طفولة وذكريات كمال.

يؤكد مصطفى السيوفي على أهمية الشخصية داخل الرواية في قولها: « ولها في الرواية، منزلة عظمى، في الحياة الإجتماعية والفكرية والجمالية معا، ذلك لأن الشخصية الروائية بحكم قدرتها على حمل الآخرين على تعرية طرف من أنفسهم كان مجهولا إلى ذلك الحين، فإنها تكشف لكل واحد من الناس كينونته»[2]

أي أن الشخصية تبقى مكونا هاما في الرواية من خلال نقل تلك الشخصية من عالمها الخاص إلى عالم تكون فيها نماذج عامة من الحياة.

و نجد عدة أماكن أخرى منها محطة توقف سيارات الأجرة باعتبارها مكان عمل بالنسبة لفرحات الطاكسي أب كمال بعدما كان بطالا إلى أن تحصل على عمل كسائق سيارة الأجرة و يتجسد ذلك في قوله:« كان فرحات ضائعا من مهنة إلى أخرى إلى أن اهتدى أخيرا إلى مهنة سيارة أجرة، استقر به المقام في محطة توقف سيارات الأجرة » .[3]

توظيف الروائي لمحطة سيارات الأجرة تأكيد على الفترة الصعبة التي كان يعاني منها فرحات و من المشاكل الاجتماعية التي كانت تتخبط فيها العائلة أبرزها العوز و الفقر.

---

[1] – الرواية، ص25

[2] – مصطفى السيوفي: تصوير الشخصيات في قصص محمد فريد أبو جديد، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2010–2011، ص60.

[3] – الرواية، ص 39

تشارك المكان و الشخصية في توليد معنى النص الروائي و يظهر تأثير المكان على الشخصية من خلال هذا القول:« يعمل المكان على التأثير في الشخصية و تحضيرها إلى اتخاذ موقف ما أو القيام بحدث ما دون آخر، يحددها الخط الذي يسير فيه من خلال اختيار الروائي الأوصاف التي سوف يلصقها بها، من هنا يمكن اعتبار الفضاء الروائي بمثابة بناء يتم إنشاءه اعتمادا على المميزات و التحديات التي تطبع الشخصيات » [1].

ذكر الروائي شخصية أخرى تعتبر ثانوية في الرواية حيث ذكرها الروائي ليبين الوضع الصعب الذي كان يعاني منه الشعب الجزائري إبان الاستعمار و ما خلفه من الأزمات الاجتماعية منها البطالة فهذه شخصية مغتربة في فرنسا فهو مجاهد كان في صفوف المجاهدين له الفضل في منح فرصة عمل لفرحات و يظهر في قول الروائي:« و يعود الفضل في ذلك إلى "سي محمد" المدعو سي فضيل السكري المجاهد الذي اشترى سيارة من فرنسا بفضل رخصة شراء السيارات الممنوحة للمجاهدين، ثم عرض عليه العمل كسائق و شريك، لأنه لا يعرف قيادة السيارة، بسبب رجله المبتورة في ذلك اليوم الأغر من عام 1957 حيث اشتبك المجاهدون مع العدو » .[2]

وصف لنا الروائي الوضع المزري الذي يعانيه الشعب الجزائري أثناء فترة الاستعمار من خلال توظيف شخصية "سي محمد" ووصف أيضا لبعض جزئيات الواقع من خلال حركة الأشخاص التي ميزت المكان هذا يسمح للمتلقي بتخيلها ثم إن المشاكل الاجتماعية التي كان يعاني منها الشعب الجزائري بما فيهم فرحات و هو ما جعله يقصد محطة سيارة الأجرة للعمل و قبوله هذه المهنة لسد لقمة العيش.

---

[1]– الشريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي، مفاهيم نظرية عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ط1، ص44.

[2]– الرواية، ص 39.

تظهر حركة الشخصيات داخل الرواية من خلال المكان المتواجد فيه، يقول احمد طاهر حسين عن علاقة المكان بالشخصيات:« فالإنسان وجوده لا يتحقق إلا من خلال علاقته بالمكان و أنه قدر إحساس الإنسان بأنه مرتبط بالمكان يكون إحساسه بذاته، بل أنها تؤكد أن المكان قوة تقود الإنسان بالضرورة إلى دروب المعرفة، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها بل تبسط خارج هذه الحدود حيث المكان الذي يمكن أن يتفاعل معه » .[1]

و بحكم الصلة التي تجمع بين الإنسان الشخصية و المكان فان ظهورها و نمو الأحداث التي تسهم فيها هو الذي يساعد على تشكيل البناء المكاني في النص.

تعد الشخصية و المكان داخل العمل الروائي، من العناصر الأساسية التي تقوم عليها الرواية يجمعها بالمكان علاقة وطيدة، من خلال هذا نذكر مكان آخر أدرجه الروائي هي المتوسطة التي انتقل إليها كمال و يتجسد ذلك من خلال قول الروائي:« انتقل كمال من الابتدائي إلى المتوسط، و كان بمثابة معجزة نظرا للجو العائلي السيئ، حيث عشش الفقر في كل زاوية من زوايا البيت » .[2]

صور لنا الروائي هذه الشخصية ليبرز لنا مدى صبر و إصرار كمال على تحدي الصعاب و العراقيل و الوضع الاجتماعي الصعب التي كانت تعيشه عائلته، و كذلك تأكيد على العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الشخصية و المكان من خلال تأثر كمال بالوضع السيئ للعائلة، و تعود عليه بالإيجاب من خلال تماسكه بالدراسة لكي يبدل وضعه المادي إلى

[1]–أحمد طاهر حسين، أحمد غنيم و غيرهم:جماليات المكان، عيون الدار البيضاء، د ت. د ط.ص 21.

[2]– الرواية، ص 49.

الأحسن فتأثر كثيرا بمعلمته دنيا و المكان ألا و هو المدرسة و الظروف المحيطة به دفعته إلى الصمود و رفع التحدي.

نظر فيليب هامون إلى الشخصية بمنظور سيمولوجي، فيرى:« أنها وحدة دلالية، و علامة قابلة للوصف و التحليل، و لا تولد إلا من خلال ما تقوله أو ما تفعله أو ما يقال عنها في النص...إن الشخصية بوصفها سيمولوجيا يمكن ان تحدد كنوع من المورفيم منفصل شكل مضاعف، مورفيم غير ثابت، يتجلى من خلال دال متقطع(مجموع علامات) يحيل إلى مدلول متقطع (معنى أو قيمة الشخصية) » [1] أي أن الشخصية لا تتولد إلا من خلال الأفعال و الأقوال خاصة ما يظهر في النص.

و ذكر الروائي شخصية أخرى في الرواية و هو "أزواو" زميل كمال في العمل مهندس في منطقة حاسي مسعود من خلال تحقيق كمال الطموح الذي راوده منذ المتوسطة في أن يصبح مهندسا و يظهر جليا في الرواية من خلال" فنحقق الطموح الذي راوده منذ المتوسطة فوجد نفسه في منطقة حاسي مسعود، في حقل من حقولها النفطية مع زميل يدعى "أزواو". و إن الروائي عمد في الرواية عندما يذكر شخصية و يتبعها بمكان و هذا الترابط بينهما فلا وجود للشخصية بدون مكان في رواية لتحريك الأحداث من جهة و من جهة أخرى تبيان أهم المشاهد فيها و تكوين عنصر المكان و بنائه.

يعتبر المكان هو المحيط الذي يتحرك فيه المؤثرات الخاصة و العامة على الشخصيات و الأحداث و يعتمد تركيب تلك الشخصيات من نواحيها الجسدية و الفكرية

[1]–فيليب هامون: سيمولوجية الشخصيات الروائية، سعيد بن كراد، دار الحوار، للنشر و التوزيع، ط 8، مجلد1، 2013.

و الاجتماعية و الخلقية على البيئة أو المكان الذي تعيش فيه هذه الشخصيات. [1]

و نلمس في الرواية ذكر الجنس اللطيف ربما لخلق نوع من الإثارة للقارئ و التناسق مع موجة من الأحداث لتصنع عنصر من العناصر الأساسية و ذكر الروائي للشخصية "جميلة" طالبة في كلية الاقتصاد أنها جمعتها علاقة حب تكللت بالزواج من خلال التقائها بكمال الشخصية الرئيسية في الرواية في محطة نقل المسافرين و دليل على ذلك من الرواية:« و لم يتوقع أن يلتقي بجميلة الطالبة في كلية الاقتصاد في محطة نقل المسافرين و هما ينتظران الحافلة القادمة من الجزائر» [2] التمسنا في الرواية ذكر الجنس اللطيف في صفحات الرواية فهو نوع من الإثارة.

يشكل المكان دورا فاعلا في الرواية من خلال تحريك مجرى الأحداث و كذلك الشخصيات تعتبر محرك للحدث و المكان لهذا يقال في هذا الصدد:« لأن كل حادثة لابد أن تقع في مكان معين لا على أساس أنه موقع الحدث فحسب، بل على أساس أنه دافع و محرك الحدث و مسبب لكل ما تقوم به الشخصيات من حركة داخل العمل الأدبي، بل هو واحد من العناصر التي يتخلف وعي الإنسان و تتشكل تجاربه عبر تماسه معها فهو بذلك ليس وعاءا مجردا لوقوع الحدث، أو حيز للحياة فحسب بل صورة مهمة من صور وجودها » .[3]

نجد أن الروائي وظف أماكن أخرى في الرواية و تبعها بالشخصيات فكل شخصية مكانها و من بين الأمكنة الأخرى الموجودة في الرواية المقهى فهذا توظيف لا يكون اعتباطا

---

[1]–ضياء غنى لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامة للنشر، الأردن، ط1، 2016،ص 118.

[2]– الرواية، ص 71

[3]– ضياء غنى لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك، ص117.

بل نستنتج أن الروائي قام بتقديم المقهى في روايته ذلك ليساعده و يسهل عليه انطلاقة الأحداث و كذلك ليبرز و يمهد لظهور شخصيات جديدة من بين هذه الشخصيات الأخرى الثانوية نذكر منها: الشيخ ناصر و هو المهاجر إلى بلاد الغربة عاد إلى القرية ليكمل حياته فيها في قوله:« فكل وقته يقضيه في المقهى مع أصحابه في لعب الدومينو، و استشراف الغد، و ما لحق بالناس و يوميات الشيخ ناصر المغترب العائد إلى البلدة بعد أربعين سنة من الغربة » . [1]

حيث كان المقهى في رواية "ضباب آخر النهار" المكان الوحيد للتعبير عن الذات و التحدث بحرية.

يؤدي المكان داخل الرواية دورا محورا في تشكيل العمل الشخصية الروائية، فهناك علاقة مباشرة بين المكان الذي وحدة الإطار الذي تدور فيه الأحداث و الشخصيات يقول مراد عبد الرحمان مبروك، عن أهمية هذا العنصر داخل العمل الروائي:« إن توظيف المكان في الإبداع القصصي من الوسائل الجمالية ذات التصورات البعيدة لما يحمله من ملامح ذاتية و سمات إبداعية، و عواطف إنسانية و تجارب اجتماعية تجعل العمل متكاملا في بنيته و رواءه، و هكذا يصبح المكان مكونا قصصيا جوهريا، و عنصرا متحكما في الوظيفة الحكائية و الرمزية. » [2]

و منه أن المكان يصبح الجوهرة أو النقطة المركزية في ربط الأحداث و العناصر داخل الرواية.

---

[1]– الرواية، ص 60.

[2]–مراد عبد الرحمان مبروك: جينولتيكا النص الأدبي، تضاريس القضاء الروائي نموذجا، دار الوفاء، لدينا الطباعة و النشر ، الإسكندرية، مصر، ط1، 2001،ص 123.

نجد أن الروائي في روايته ذكر أماكن الغربة من بينها مدينة ليون ليبين الوضع القاسي التي كانت تعانيه الجزائر فترة الثورة مما جعل بعض السكان يهاجرون إلى بلاد الغربة هربا من الحرب و بحثا عن العمل و القوت لعائلاتهم، من بين الشخصيات نذكر شخصية الشيخ ناصر في الرواية، فلقد عمل في مدينة ليون في مصنع التغليف أو صناعة الأغلفة.[1]

ذكر الروائي مدينة ليون في الرواية ليؤكد الوضع المزري للشعب الجزائري دفع بعضهم للهجرة إلى بلاد الغربة بحثا عن الرزق و المعيشة.

يعد المكان في الرواية إحدى عناصرها الفنية لأنه يعتبر مجرى للأحداث و محرك للشخصيات، بل يتحول في بعض الأعمال الروائية إلى فضاء يحتوي، كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث و شخصيات و تجسدها كذلك علاقات و المكان في الرواية:« أيا كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي، لو أشارت إليه الرواية أو عنته، أو سمته بالاسم إذ يظل المكان في الرواية عنصرا من عناصرها الفنية، فالمكان في الرواية، هو المكان اللفظي المتخيل المكان الذي صنعته اللغة أيضا لأغراض التخيل الروائي و حاجاته » [2] يعتبر المكان إحدى عناصر فنية في بناء و تأسيس العمل الروائي و تحريك مجرى الأحداث و تقديم الشخصيات.

و تدور أحداث الرواية أيضا في مكان آخر، كان له تأثير كبير في نفسية كمال ألا و هو الصحراء التي تعتبر الفضاء الأوسع المفتوح، التي عادت به الذاكرة إلى طفولته و تذكر بلدته التي عاش فيها، تخللها الوصف و السرد لبلدته في أيام الشتاء، فلهذا المكان علاقة وطيدة بالشخصية، فلقد كان سجلا لجميع أحداثها و آلامها الوجودية أبرز مقاطع يدل

---

[1]–الرواية، ص61

[2]– سمر روحي الفيصل: بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق(دط) 1995، ص251.

على قول السارد في:« كان الجو باردا في الصحراء، شتاء، أحس بانقباض و أرق يقتصر أعصابه، خرج و القاعدة فارغة، فالكل نيام إلا الحراس، أشعل سيجارة، و البرد الليلي يتسلل خلسة إلى جسده المتعب، فعادت به الذاكرة إلى طفولته، فتذكر بياض بلدته عندما تستقبل الثلوج الأولى في شهر نوفمبر، و كم كانت الطبيعة جميلة و بديعة » [1] فنجد كمال يصف بلدته وقت الشتاء ينم على حنين للبيئة الأولى، استعمل الروائي مكان صحراء بما يحويه من جمالية تعتبر بيئة جاذبة للمتلقي، فهو يساعد على استقراء طبيعة الشخصيات و معرفة طبيعة حالتها، فيظهر أن السارد صور لنا هذا المكان من خلال منظور يعتمد على دقة الوصف لتبرز جماليته.

يستمد المبدع شخصياته من خياله حيث يقول فليب هامون بهذا الصدد:« فالشخصية ينتجها المبدع من نسج خياله لغاية فنية ما و هي ليست المؤلف الواقعي. » [2] أي أنه الشخصيات يذكرها الروائي في رواياته و يستعمل الخيال فيها باعتبار الرواية يستخدم فيها الخيال و هذا لمسناه في هذه الرواية التي بين أيدينا.

وظف الروائي شخصية أخرى في روايته و هي باسكال احد مهندسين في مؤسسة الحفر و التنقيب بحاسي مسعود يعمل مع كمال في هذه المؤسسة و اكتشاف كمال لطريقة استغلال باسكال مؤسسة من خلال شراء عقود بطريقة غير شرعية و هذا الأمر دفع بصاحب العمل إلى ترقية كمال إلى رئاسة المهندس و هذا يظهر في قول الروائي:« انزوى باسكال كالثعلب في مكتبه الضيق لإعداد التقرير التقني للمدير المسؤول عن المشروع. و بالتالي يضمن عقود الشراء للمؤسسة لأمد طويل، فهي مهمته الأساسية فيزدهر نشاطها على

---

[1]–الرواية،ص 88

[2]– فيليب هامون: سيمولوجية الشخصيات الروائية ت: سعيد بن كراد، دار الحوار للنشر و التوزيع، ط 8، مجلد1، 2013

حساب مغفلين، هكذا يفعل في كل مرة حتى وجدنا أنفسنا أمام معبرة الحفارات مرمية يأكلها الصدأ » [1]

نجد الروائي يكرر شخصية كمال لمل لها من تأثير على مجرى الأحداث و علاقتها بالمكان(المؤسسة) علاقة عمل كمال.

نجد في الرواية مكانا آخر هو "الجبال" ارتبط بالتعبير عن الثورة أول نوفمبر و ذكر شخصية سي التوفيق، و تعد شخصية سي التوفيق من الشخصيات التي كانت لها دور بارز في الرواية، و كان يناضل في صفوف الحركة الوطنية و مشاركة ابنه الرواسي في صفوف الثورة و مقطع دال على ذلك :« و تذكرت الجبال "سي التوفيق" مناضل الحركة الوطنية، كان مصاليا قلبا و قالبا، و لكن بعد غرة نوفمبر أصبح نوفمبريا، فطلق حياته الهادئة، صاعدا مع ابنه البكر الرواسي » [2] في هذا المقطع يدل و يتضح عمل سي التوفيق و انه في صفوف الثورة فهذه الشخصيات ساعدت على تحريك عنصر المكان مما حدث بينهما نوع من التأثير و التأثر بين المكان و الشخصيات.

تعتبر الشخصية هوية العمل الأدبي و عنوانه، كما و أن لها عدة وظائف تقوم بها في السرد تتداخل مع البنى الأخرى المكونة للسرد الحكائي و تساهم الشخصية في : تجسيد فكرة الروائي و هي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي، فتطوير الحدث من نقطة البداية حتى لحظات التنوير في العمل الروائي لا يأتي بطبيعة الحال من

[1] – الرواية، ص80.

[2] – الرواية، ص 90

غير العناية و بصورة مدققة و سليم في رسم كل شخصية و تبين أبعادها و جزئياتها[1] يعني أن الشخصيات عنصر مهم في تسيير مجرى الأحداث و تطويرها داخل العمل الروائي.

نجد شخصية رئيسية أخرى في الرواية تتمثل في زوجة كمال هي فضيلة ربة بيت و أم قدمت الكثير لعائلتها من أجل راحتهم و إسعادهم و أبرز مقطع على ذلك من الرواية:« هبت فضيلة واجمة، و ضحكة و مدوية طردت هدوء الغرفة، و أنا لست حليلة كمال و ربة بيت و أم سخرت حياتها لعائلتها و لراحتها، و كل العمر الذي يجمعنا، تعرفنا في الثانوية لم ادخل الثانوية قط، فقد توقفت عن الدراسة في المتوسط، و كيف كان أول لقاء بيننا؟ في عرس أخي أمحمد، أنسيت إيماءاتك، فنحن نستقبل العروس، و كنت متضايقة منها، و لكن وقع قلبي في غرامك، يا لها من أيام ساحرة، يبدو انك فقدت ذاكراتك بعد ميلادك التاسع و الخمسين »[2]

في هذا المقطع تسرد لنا شخصية و متمثلة في فضيلة روحية كمال عن انقطاعها عن الدراسة في سن مبكرة و تعرفها على كمال في عرس أخيها و هو مكان لقاءهما الأول ووقوعها في غرامه ووصفها بتلك أيام أنها ساحرة.

---

[1]–نصر الدين محمد: الشخصيات في العمل الروائي، مجلة الفيصل، العدد 37، دار الفيصل، الثقافة للطبعة العربية السعودية، 1980،ص 20.

[2]–الرواية، ص97.

3-2 علاقة المكان بالحدث:

يعتبر للحدث عصب الرواية، لكن قيامه مرتبط بوجود المكان مما يعكس أهمية هذا الأخير بالنسبة للحدث لأن:« المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية"[1] يعني أن المكان يساهم في تحريك الأحداث، لأن الحدث هو "البؤرة التي تتكاثف حولها كل الأبعاد المعبرة عنها داخل البناء » [2] أي من الحدث يسمح بالانتقال من مكان إلى آخر عبر الشخصيات.

نتحدث عن الحدث الأول المذكور في الرواية و مكان الذي جرى فيه هذا الحدث هو المدرسة(الصف) و ينطلق الحدث الرئيسي في هذه الرواية بدخول كمال إلى المدرسة بصحبة خاله أرزقي و ابرز مقطع على ذلك:« و كانت البداية عندما وطأت قدماه المدرسة في ذلك اليوم الأغر من 14 سبتمبر 1917 » [3] فهنا يتحدث عن دخوله المدرسة لأول مرة مع ذكر تاريخ دخول إليها و أيضا:« كان الجو خريفا و لطيفا بعد صيف حارق شغل طبول القيظ الحر على الجميع، في ذلك اليوم الخريفي جره خاله أرزقي إلى الصف » [4]

يتحدث الروائي عن حالة الطقس و أنه كان خريفا بعد انتهاء الصيف. فالمكان أي المدرسة يمثل لكمال أول حدث بالنسبة له و سيكون مكان تعليمه و تعلمه و تحصيله لشتى المعارف و العلوم فيها.

---

[1]- سيزاد رزا: بناء الرواية العربية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص76

[2]- بشير بويجرة محمد: بنية الخطاب الروائي الجزائري، 1970-1986، جماليات و إشكاليات الإبداع، ط1، دار المغرب للنشر و التوزيع، 2001،2002 ج 2،ص120.

[3]-الرواية، ص 3

[4]- المرجع نفسه، نفس الصفحة

يعتبر عنصر المكان من العناصر السردية التي يبنى عليها العمل الروائي إذ يرى حسن بحراوي :« أن المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، و إنما يدخل في علاقة متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات و الأحداث و الروايات السردية...و عدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات و الصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النمي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد »[1] ذلك أن كل عنصر فيها يكمل و يبرز الآخر.

فقد حرص الروائي على اختيار الأحداث و الشخصيات الأساسية حتى يتمكن من إبراز سلوكياتها و ملامحهم إذ وظف الروائي حدثا مهم و بارز أن أب كمال سي فرحات الطاكسي تتلمذ على يد مسيو فرج و تاريخ المذكور في أواخر 1954 هو تاريخ اندلاع الثورة التحريرية فالمعلم فرج يتحدث عن الأطفال الذين كانوا يعانون من الفقر فكان مشفقا على حالتهم و أبرز مقطع على ذلك:« كان مسيو فرج المعلم الجزائري الوحيد في المدرسة دائما و أبدا مشفقا على هؤلاء الأطفال الذين يقتاتون الفتات في زمن الجوع و الخبز الحافي، يأتون إلى الدرس و بطونهم خاوية، و أقدامهم مكشوفة على التربة القاسية » [2] فهنا يبين أن المعلم فرج يشفق على هؤلاء التلاميذ و ما يعانونه من الأوضاع الاجتماعية القاسية جراء الحرب فعلاقة الحدث بالمكان تمثل علاقة الاحتمال لمكسيي ، كان الروائي يبرز هنا مدى تحمل هؤلاء الأطفال لذلك الوضع، حين يأتون إلى الصف رغم الجوع و المعاناة.

و نأتي لنبرز حدث هام في الرواية الذي من خلاله انقلبت حالة فرحات الطاكسي أب كمال نتيجة فقدانه لأمه و أبرز مقطع على ذلك يظهر فيما يلي:" و على الساعة الواحدة

---

[1]–حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1990

[2]–الرواية ص5.

صباحا ابتسمت الدنيا له، و كشرت أنيابها لأمه التي ماتت أثناء الوضع ، فحزن الجميع لرحيلها المفاجئ"[1] فهنا يذكر حدث موت أم فرحات الطاكسي أب كمال و علاقة الحدث بالمكان تمثل علاقة الحزن خيم على الجميع لرحيل أم فرحات الطاكسي فهذا الحدث انطلق من خلاله الأحداث الأخرى في الرواية في حياة كمال و كذلك فرحات الطاكسي.

يعد المكان من أهم المكونات النص السردي، فلم يعد مجرد أداة لوظيفة أشارية لمعنى من المعاني الثابتة أو ديكور هامشيا للمشاهد إنما صار عنصرا حكائيا هاما قائما بذاته، و طرفا مهما من أطراف العمل الروائي متفاعلا مع المكونات الحكائية كالشخصيات و الحدث و هناك من يرى في المكان:« هوية العمل الأدبي الذي افتقد المكانية يفتقد خصوصيته و بالتالي أصالته و ربما كان العمل أهم المظاهر الجمالية الظاهرية في الرواية المعاصرة مما يستدعي من النقاد و علماء الجمال الاهتمام به » [2] أي أن عنصر المكان قد يتحول من مجرد خلفية مرتبطة بوقوع الأحداث إلى عنصر تشكيلي من عناصر العمل الروائي.

خص الروائي ذكر حدث آخر في الرواية هو زواج سي صالح أب فرحات الطاكسي و جد كمال من مالحة الرومية مما أدى إلى قضاء فرحات الطاكسي أيامه ما بين مكانين هما دار العمة فروجة و الحقل و معاناته أيضا من بطش أبيه و زوجة أبيه و نذكر أهم مقاطع فيما يلي:« كان سي فرحات الطاكسي رجلا مسالما، أدرك منذ الصغر أن اليتم مأساة و نائية عظمى، خاصة يعد زاج أبيه من مالحة الرومية، حيث يقضي أيامه بين دار العمة فروجة و الحقل » [3] فهنا يظهر معاناة فرحات الطاكسي و كذلك من زواج أبيه أدى به إلى

---

[1]– الرواية، ص8

[2]– شاكر النابلسي:جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1994، ط1،ص 17.

[3]–الرواية ص11.

المكوث في دار عمته و الحقل و علاقة الحدث بالمكان علاقة هروب و عدم إحساس بالارتياح في دار أبيه نتيجة بطش زوجة أبيه.

يشكل المكان أحد المكونات الأساسية في بناء العمل الروائي و تشكيل فضائها الشامل لهذا يقول حميد لحميداني عن عنصر المكان في قوله:« فإذا كان الزمن و الشخصيات و الأحداث يمثلون النواة داخل الخلية، فان المكان يمثل السيتوبلازم الذي تنسج فيه تلك النواة » [1]فلا يمكننا فهم دلالات العمل الروائي و أبعاده إلا ضمن هذه العلاقة المتداخلة من بينهما المكان و الشخصيات و الأحداث التي يصدر في النهاية رواية متكاملة حية تنبض بجميع عناصرها مكتملة.

يحدث الروائي عن حدث آخر الموجود في رواية هو تعرض حقل سي صالح إلى الخراب حين لحقته أضرار جسيمة من خلال هطول الأمطار الغزيرة عليه مما أدي بهذه الحادثة إلى اصطباغ المكان عند سي صالح بمشاعر الحزن لما حدث لحقله فهو يمثل مصدر رزق بالنسبة إليه و المقاطع الدالة على ذلك منها:« جرفت السيول جزءا كبيرا من أشجار الزيتون الذي تفانى سي صالح في رعايتها فذهبت أعوام جهده في لحظة جنون السماء، فنزل الحزن عليه مخيما على حياته، فهو لم يتوقع حجم الكارثة إلا بعد معاينة الأضرار الجسيمة التي لحقت بالحقل » [2] و يبرز هنا مدى خسائر فادحة التي تعرض لها حقل سي صالح بعدما تفانى كثيرا في عنايته به و علاقة الحدث بالمكان هو تعرض سي صالح لخيبة كبيرة و حزن لما حصل لحقله.

---

[1]– حميد لحميداني:بنية النص السردي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1،1998.

[2]–الرواية ص18.

يعتبر المكان من العناصر الأساسية التي تساهم في بناء الرواية، تتداخل مع الحدث ليشكل عملا سرديا تام المعاني، لهذا يقول حسن نجمي عنه:« فلا شك أنه يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب غير انه في الآونة الأخيرة لم يعد مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية، كما لا يعتبر معادلا كنائيا للشخصية الروائية فقط، و لكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي و تشكيلي من عناصر العمل الفني و أصبح تفاعل العناصر المكانية و تضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي » [1] أي أن المكان عنصر مهم في تشكيل و بناء العمل الروائي.

و يواصل مصطفى ولد يوسف في ذكر الأحداث و التي تتمثل في مقتل سي صالح الذي أصبح موضوعا متداولا في القرية من طرف مجهول و لم يعلم إلا في الأخير و قطع دال على ذلك في قوله:« كان خبر مقتل سي صالح موضوع حديث الناس الذين نسوا ما صنعت بهم الأمطار الطوفانية من خراب لأغلب الحقول » [2] نستنتج أن الناس بعدما كانوا مشغلين بخبر إتلاف الأمطار لأغلب الحقول، انتقلوا إلى انشغالهم بخبر مقتل سي صالح الذي جمعته علاقة حب الأرض (المكان) فاعتبره محل لرزقه.

تطرق الروائي الحديث عن حدث بارز في الرواية هو انتقال كمال للشخصية الرئيسية في الرواية إلى القسم الأعلى بفضل معلمته دنيا فهو تحدى صعاب الحياة بما فيها من الأوضاع الاجتماعية القاسية التي خيمت على حياته و تذكر كمال سنوات الابتدائية و نستحضر الأقوال دالة على ذلك من الرواية في قوله:« يتذكر كمال سنوات الابتدائية قصة تعلقه بمعلمته "دنيا" امرأة رزينة ذات وقار على الرغم من صغر سنها،كانت جادة في الوقت

---

[1]– حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، ص 54.

[2]–الرواية، ص 18

نفسه وسيمة ، لمل انتقل إلى القسم الأعلى » [1] و منه نستنتج أن الحدث مرتبط بالمكان و من خلاله تحرك مجرى الأحداث داخل مكان معين و يعمل على تطويره عبر تفاعله مع هذا المكان فكمال جمعته علاقة حب للدراسة من خلال معلمته دنيا، التي حببت الدراسة من خلال صفاتها و نبل أخلاقها من نتوصل إلى أن جمعت علاقة حب كمال لمعلمته دنيا أدت إلى نجاحه في الدراسة و انتقاله إلى القسم الأعلى بفضلها فعلاقة الحدث بالمكان علاقة حب و إصرار.

يساهم المكان في خلق المعنى داخل الرواية من خلال تواجد عنصر الحدث بجانبه مما يصبح المعنى المفهوم بتواجد كلاهما داخل العمل الروائي، بهما يكتمل المعنى. لهذا يقال عن عنصر المكان :« كما أن له قدرة على التأثير في تصوير الأشخاص و حيك الحوادث مثلما للشخصيات أثر في صياغة المبنى الحكائي للرواية، حيث أن تفاعل بين الأمكنة و الشخوص شيء دائم، و مستمر في الرواية، مثلما هو دائم و مستمر في الحياة، فتكوين المكان، و ما يعروه من تغير في بعض الأحيان، يؤثر تأثيرا كبيرا في تكوين الشخوص، و قد يكون وصف الأمكنة من الدوافع التي تجعلنا نفهم الأسرار العميقة للشخصية الروائية » [2] فهو وصف لا يقتصر على الإطار الجغرافي الذي تقع فيه الحوادث، و إنما يؤدي دورا حيويا على مستوى الفهم و التفسير و القراءة النقدية و يعد أداة فنية ناجحة تساعد على تطوير الحدث و بعث الحركة الدرامية.

---

[1] – الرواية ص21.

[2] – حسن نجمي: شعرية النص السردي،المركز الثقافي العربي، ط1،2000،ص32.33.

يساهم المكان في تشكيل و بناء العمل الروائي لهذا يقال عنه:« فهندسة المكان ساهم أحيانا في تقريب العلاقات بين الأبطال أو خلق التباعد بينهم. » [1] فهو يلعب دورا كبيرا في بناء الرواية و تركيبها.

انتقل الروائي إلى ذكر حدث آخر في الرواية يتمثل في حصول سي فرحات الطاكسي على عمل كسائق سيارات أجرة بفضل سي محمد بعد بحثه عن عمل و مروره بالأوضاع الاجتماعية مزرية زو أن العلاقة التي جمعت سي فرحات الطاكسي بمحطة توقف سيارات الأجرة علاقة عمل، أصبح هذا المكان بمثابة ملجأ و رزق بالنسبة لسي فرحات الطاكسي بعد ما كان غير مستقر في عمله إلا أن تحصل على هذا العمل و يتجلى ذلك من الرواية في قوله:« كان فرحات ضائعا من مهنة إلى أخرى إلا أن اهتدى أخيرا إلى مهنة سائق سيارات أجرة، ففي نهاية التسعينات، استقر به المقام في محطة توقف سيارات الأجرة، و كذلك آنذاك قليلة، و يعود الفضل في ذلك إلى سي محمد المدعو سي فضيل السكري » [2] من هنا يتبين أن سي الفضيل السكري كان له فضل من حصول سي فرحات الطاكسي على عمل.

يعد المكان مكونا محوريا في العمل الروائي، بحيث لا يمكن تصور العمل الروائي بدون مكان و لهذا يقول محمد بوعزة عنه:« لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك لأن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد و زمان محدد » [3] أي أن المكان له دور في أي عمل فني، فبدونه لا تكتمل معنى.

---

[1]– حميد لحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.

[2]– الرواية، ص39

[3]–محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات و مفاهيم، الدار العربية للعلوم، ناشرون،الجزائر،ط1،2010،ص 99

و نجد ورود حدث ذكره الروائي هو انتقال كمال من الابتدائي إلى المتوسط، فكمال يمثل شخصية رئيسية في رواية فهذا الانتقال كان بمثابة معجزة نظرا للظروف العائلية السيئة و يتجلى ذلك في قوله:« انتقل كمال من الابتدائي إلى المتوسط، و كان بمثابة معجزة نظرا للجو العائلي السيئ حيث عشش الفقر في كل زوايا من زوايا البيت » [1] و تبين أن كمال تحدى صعاب الحياة من أجل إكمال الدراسة، فالحدث هنا هو انتقاله إلى المتوسط و علاقته بالمكان أي المتوسط هو علاقة إصرار و إرادة الوصول إلى مبتغاه و تحقيق أحلامه و نظرا لظروف عائلته فيستوجب عليه تحسين ظروفه ماديا و يتحقق هذا بالدراسة.

يشكل المكان دورا كبيرا في العمل الروائي لهذا يقول محمد صابر عبيد:« تشكل البؤرة المكانية عنصر شديد الحساسية، في إنتاج شعرية قص تتلائم تلاءما شفافا و حيويا مع تلقائية السرد، و تؤدي البؤرة دورا بالغ الأهمية في إتاحة فرص هائلة للحكي حيث تكون بؤرة مولده تختزن في داخلها، تجارب حياة مدفونة لكنها منتشرة على مساحات و أفضية خارج حدود المكان » [2] حيث تتضح صورة المكان الفني ودوره في بناء العمل السردي و تشييد جمالياته.

و نجد حدثا آخر مذكور في الرواية هو التقاء كمال بجميلة الطالبة في كلية الاقتصاد في محطة نقل المسافرين، و جمعت بينهما علاقة حب تكللت بالزواج و المقاطع الدالة على ذلك من الرواية في قوله« و لم يتوقع أن يلتقي بجميلة الطالبة في كلية الاقتصاد في محل نقل المسافرين و هما ينتظران الحافلة القادمة من الجزائر » [3] في هذا المقطع يبين الروائي

---

[1]– الرواية، ص49

[2]– محمد صابر عبيد: المغامرة الجمالية للنص القصصي، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، ط1،أربيت الأردن، 2010، ص 100.

[3]– الرواية ص 70

اللقاء الأول لكمال بجميلة و مكان اللقاء المتمثل في محطة نقل المسافرين و منه نستنتج العلاقة التي جمعت الحدث بالمكان علاقة تعارف فتحولت إلى الزواج.

نستخلص كل من هذه الأحداث أنها جرت في مخيلة الروائي و من خلال الكوابيس التي كانت يعيشها فالقارئ عند قراءة الرواية يحس أنها أحداث واقعية و المقطع الدال على ذلك :« أفاق مفزوعا من كابوس أتقن لعبته في طرد النوم عن جفنيه و كانت الساعة السادسة على ما يبدو و الظلام مازال جاثما على الأرض في عز ديسمبر البارد » [1] يبين من خلال هذا المقطع أن الشخصية الرئيسية التي هي بصدد سرد الأحداث كانت تعيش حالة من الكوابيس، المشار إليها في الرواية و لدى قراءتنا للأحداث نكتشف أنها من صنع الروائي مرة يعيش في الواقع و مرة في الخيال، فالروائي يعيش حالة من انفصام الشخصية مرة و يتذكر ماضيه الأليم و مرة واقعه المعيش.

يعد المكان من المكونات العمل الروائي لهذا يقال عنه: « يمثل المكان أحد أهم لبنات المعمار الروائي وشرط من شروط العمل الروائي المتجسد بواسطة اللغة، مما يعطي لأحداث الحكاية واقعيتها ...وأشياء محتملة الوقوع »[2]

أي أن المكان عنصر مهم في العمل الروائي ويعد شرط من شروط هذا العمل الروائي.

نجد الروائي يوظف حادثة أخرى في الرواية من خلال لقاء كمال بالبائع استقبله بابتسامة أنارت المكان والمقاطع الدالة على ذلك:« ترك الدفتر بانقياض شديد فقرر الخروج ليزيل ترسيات اليوم كان تائها مثله، انزلق من الطابق الثالث الذي يسكن فيه، فصادف طفلا يقلم أظافره بأسنانه، فتذكر نفسه، إجتاز الطريق بصعوبة جمة، حيث بدا له كل شيء جديد عليه

---

[1]– الرواية، ص93.

[2]– ينظر: بناء المفتوح في" طوق ياسمين" لواسيني الأعرج، مصدر سابق

.....: من بعيدة مكتبة، أسرع إليها مدمدما، سأشتري جريدة وسجائر أفراز، دلف مسلما فاستقبله البائع بابتسامة أنارت المكان، أهلا بك يا دكتور، قالوا إنك عليل ، سكت مستفهما في قراره، لا أعرف هذا الشخص إطلاقا، ناول البائع كتبا قائلا: روايتك أنا تائه رائعة وممتعة»[1] في هذا المفتاح تبين أن شخصية تعيش حالة من الإستغراب مما يجعله أن ما يدور حوله جديد عليه ويظهر من خلال لقائه والحيرة بادية عليه فذا ...أثرت عليه جعلته ينسى الأحداث التي صادفت حياته وعلاقة الحدث بالمكان علاقة الإستغراب والحيرة مما يحدث حوله.

يحتل المكان أهمية خاصة في تشكيل العمل الروائي، ورسم أبعاده، ذلك أن المرآة مرآة تنعكس على سطحها صورة للشخصيات وتتكشف من خلالها بعداها النفسي والإجتماعي، إنه يسهم في رسمها بمظهرها الجسدية ولباسها وسلوكها، وعلاقتها بسواها، من خلاله يقال عن عنصر المكان: « كما أن المكان يبلور وعي الشخصية بذاتها، ويحدد إنتمائها، كما أن المكان في البناء العام للشخصية الروائية، وتحديد إيديولوجياتها وطياعها، فجمالية المكان تساهم بقسط كبيرة في بلورة شعرية الحدث، وبعث لحركة الدرامية بما يكثفه من صراعات نفسية ومادية، وفي الوقت نفسه يحمل أبعادا دلالية تتصل بواقع الأحداث وحضور الشخصيات»[2] أي أن المكان له دور تأثيري على الشخصيات والحدث داخل الرواية.

توظيف الروائي لحادثة أخرى في الرواية من خلال إدراج عالم البحار من أن يعيش حياة جديدة وبعيدة عن عالم المعايش ويتجلى ذلك من خلال: « يحدف بصعوبة جمة وهو قابع لا وسط قاربه الصغير اليائس، يستطلع الأفق فلا يرى إلا البحر في انتظاره، فالبساط

[1] – الرواية، ص143.

[2] – هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكيدي ، أريد، الأردن، دط، 2004

الأزرق يحاصره من جميع الجهات، يملأ بصبره الضعيف، يتوقف عن التجديف بعدما إمتص تعب عرق عضلاته، وصفرة عوليس، الدال التراحيدي إكتسحت وجه الطويل وجه مثقوب بالأخاديد »[1] إدراج الروائي كمكان وذكر حادثة البطل التراحيدي لا تكون ...بل استخدامها وعلاقة بين الحدث والمكان علاقة هروب من الواقع من أجل معايشة حياة مغايرة.

يتخذ المكان عنصرا هاما وبارزا في العمل الروائي من خلال: « فالمكان هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض، وهو الذي يسمى الأشخاص، والأحداث الروائية في العمق، ويدل عليها وهو يدل على الإنسان قبل أن يكون دالا على جغرافيا محددة، أو دالا على تقنية تبرز حدوث الواقع والأحداث، فالمكان الروائي هو أساس مكان يحدد سلوكه، وعلائقه، ويمنحه فرصة الحركة ويمنعه من الإنطلاق»[2].

ونجد من خلال كل هذا أن المكان له دورا كبيرا في العمل الروائي.

نجد أن الروائي ذكر حدث آخر في الرواية وهو انتقال كمال إلى الجامعة ويظهر في المقطع: « يتذكر جيدا عندما حط جسده النحيف في مدرج الجامعة، وهو يتابع باهتمام أول درس في الكيمياء، كان دائما، وأبدا مولعا بكل ما هو كيميائي، فكل حياتنا اليومية كيمياء، كيمياء المشاعر والألوان، والأطباق اللذيذة، ....وفي حينه كان طموحه أن يصبح مهندسا في الكيمياء الصناعية، ويعمل في أكبر شركة في البلاد، وهو شركة سوناطراك»[3]

[1] – الرواية ص108.

[2] – الرواية، ص55.

[3] – الرواية، ص55.

فنجد أن كمال يتميز بإرادة وتمثل إليه الأمل، فعلاقته بالمكان علاقة حب، فالحدث يتمثل في إنتقاله إلى الجامعة ممّا إنجر عنه تجسيد علاقة حب بين الحدث والمكان فتلك العلاقة أدت إلى تحقيق مراده فالجامعة تفتح آفاق بعيدة.

يعد المكان عنصرا أساسيا في تشكيل بنية الأحداث ممّا تحدث بينهما علاقة تأثر وتأثير بينهما. ويظهر أهميته من خلال هذا المقطع: « لما كان المكان لا يعيش بمعزل عن باقي عناصر الرواية، وإنما يدخل في علاقة تفاعل مع المكونات الحكائية للسرد كالشخصيات والزمان والمكان والرؤى السردية ، فإن عدم قراءته ضمن هذه العلاقات والصلات يجعل من العسير فهمه داخل السرد الروائي» أي أن المكان له الصلة وثيقة بباقي مكونات وعناصر النص الروائي ولا يتماشى لوحده بل مع هذه المكونات.

تعرض الرواية التي بين أيدينا حدث ساهم في بلورة مجرى الأحداث هو فتح منير ملف نورة إحدى العاملات بالمستشفى المشتبه فيها في قضية سرقة الأدوية مع زميلها رضوان دفعتها حاجتها المادية إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنعاء في حق المال العام والوطن ويتجلى ذلك من خلال قوله: « فتح منير ملف الممرضة نورة »[1] أي تبيان أن نورة فتح ملفها من طرف منير. وأيضا باعتبارك مسؤولة عن مخزن الأدوية وردت إلينا معلومات عن إختفاء أكثر من دواء» [2]

ويتبين أيضا من خلال هذا المقطع إكتشاف منير جريمة التي إرتكبتها نورة في حق المال العام والوطن.

[1] – آسيا البوعلي، أهمية المكان في النص الروائي، مجلة نزوى، تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان

[2]-TTP.WWW.nizwa.articles

ويتجلى ذلك أيضا في المقطع التالي: « كنت خائفة، مما كنت خائفة ، من رضوان من هذا. يعمل في مصلحة الإستعجالات»[1]ويظهر هذا المقطع خوف نورة من رضوان.

هذه الأحداث التي سارت على نهجها الرواية، خاصة الأحداث الأخيرة من بينها حادثة سرقة الأدوية التي تحمل في طياتها حوادث محملة بالألم والأوضاع المزرية لنورة والعلاقة التي جمعت الحدث بالمكان علاقة...والهروب من واقع المعاش وأيضا نجد أيضا أن المكان ساهم في دفع الفعل الروائي نحو التوتر والمشاركة في تطوير الأحداث.

يعد المكان عنصرا أساسيا في تشكيل بنية الأحداث ممّا تحدث بينهما علاقة تأثر وتأثير بينهما ويظهر من خلال: « أن الصلة بين المكان والأحداث تلازمية إذ لا نتصور النظر إلى الأحداث بمعزل عن الأمكنة التي تدور فيها، وإنطلاقا من حيث الدلالة على تطور الحكاية بين البداية والنهاية وهكذا تتشابك الأجزاء لتعرض علينا وحدة النص الروائي»[2] أي أن عنصرا المكان والحدث في العمل الروائي له أهمية في تأثير وتأثر على هذا العمل الروائي.

معايشة كمال حادثة أخرى في عالمه الخيالي ووظف الروائي بعض العبرات الدالة على ذلك كمال يعيش حالة من الغموض من خلال أوهامه المتكررة بعدما وصل إلى سن يحس فيه بتعب وإرهاق نتيجة لما عاشه من معاناة في أيام الطفولة أثرت بشكل كبير عندما وصل إلى هذا السن والمقاطع الدالة على ذلك من الرواية: « فوجد نفسه في عالم الإفتراضي يتنفس عبرة كل من سئم من واقعه وها هو في مدينة زجاجية مؤنث بمنازل قمعية اللون، وطرقات

---

[1] – مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، الرواية، ص

[2] – المكان في سالة الغفران، ص.20، نقلا عن نبيل سليمان، جماليات التشكيل الروائي(دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق) عالم الكتب للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص198.

معبدة ببساط أخضر وسيارات صامتة، أشكالها غريبة ..أناس يمشون كالدمى على آذانهم سماعات لا أثر للحياة في وجوههم، يتزاحمون ولا يتكلمون»[1] وتبين هذه المقاطع معايشة لهذه الشخصية حالة من الغموض والتخاريف فتأثر بكل ما حوله، كأنه لا يريد الحياة التي يعيشها بل حياة جديدة ومغايرة، فالأحداث التي ممّا حوله أثرت على مكان متواجد فيها فحدثت حالة من الهروب من الواقع إلى عالم خيالي.

يشكل المكان عنصرا من عناصر العمل الروائي، بإعتباره العمود الفقري الذي يربط كل جزء من أجزاء العمل الروائي بعضها ببعض من شخصيات وأحداث وسرد، حيث لا يمكن تصور أي عمل بدونه يقول عن عنصر المكان محمد بوعزة: « لا يمكن تصور حكاية بدون مكان فلا وجود حكاية خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد»[2] أي أن المكان مكونا محوريا في عنصر السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان.

نجد في رواية ضباب آخر النهار ذكر الصحراء، فهي تمثل جوهر الصراع ومحور الأحداث حيث تشد إليها وكذلك بالنسبة للشخصيات الروائية من خلال علاقات متداخلة ومتشاركة، ذات أبعاد متباينة، لها أثر كبير في تطوير أحداث الرواية، ....مشاهد التشويق والإثارة، ووصول الحدث الروائي إلى ذروته، من خلال تشابك هذه العلاقات وتنوعها فالحدث يساهم في تحسين وضعية كمال يظهر ذلك من خلال المقطع الآتي: « كان الجو باردا في الصحراء، أحسن بإنقياض وأرق يعتصر أعصابه، خرج والقاعدة فارغة، فالكل نيام إلاّ الحراس، أشعل سيجارة، والبرد الليلي، يشكل خلسة إلى جسده المتعب، فعادت به الذاكرة

1- الرواية، ص123.

2 - محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010، ص99.

إلى طفولته فتذكر بياض بلدته عندما **تستقيل** الثلوج الأولى في شهر نوفمبر، وكم كانت الطبيعة جميلة وبديعة»[1] فنجد كمال يصف بلدته وقت الشتاء ينم عن حنين للبيئة الأولى، إستعمل الروائي مكان صحراء لما يحويه من جماليه، يعتبر بيئة جاذبة للمتلقي، فهو يساعد على إستقراء طبيعة الشخصيات، ومعرفة طبيعة حالتها فتظهر أن الروائي صور لنا هذا المكان من خلال منظور يعتمد على دقة الوصف ....جمالياته.

[1] – الرواية، ص88.

– دخل كمال المدرسة بصحبة خاله أرزقي، وتحدث له أبوه " سي فرحات الطاكسي" عن جده " سي صالح" وزواجه من الرومية بعد وفاة زوجته وعن عمته فروجة.

– لقد كانت زوجته الرومية تخونه مع عشيقها " القومي" فكانت تخطط لقتله وترثه، وصديقه أرزقي قد حدثه عنها وخيانتها إلا أنه لم يسمعه.

– لقد توفي جده " سي صالح" إثر ضربة بالفأس على رأسه من قبل " دا أحسن" والذي يكون بدوره عم " سي صالح" بسبب خشية العار الذي سيحدث إذا باع "سي صالح" أرض الأجداد.

– أما فيما يخص فروجة فقد اعتنت بأبيه " سي فرحات الطاكسي" كأنه ابنها بعد وفاة جده.

– انتقل كمال من الابتدائية بتفوق رغم الظروف العائلة التي كانت تعاني الفقر والجوع، والقروض التي أعارها أبوه، وهروبه من المسؤولية، وفي هذه المرحلة شاهد كمال نوعا من التمييز من طرف المعلمين، لبعض التلاميذ، فرغم تفوقهم إلا أنهم يتعرضون للإهانة فهو حال ذلك الوقت.

لقد دخل كمال الجامعة في تخصصه " مهندس في الكيمياء الصناعية يعمل في أكبر شركة في البلاد " سوناطراك" في الصحراء الشاقة إلا أنه كان محبا ومخلصا لعمله.

– تزوج كمال بجميلة طالبة في كلية الاقتصاد بعد أن التقيا في محطة نقل المسافرين، ولم يكن لهم أولاد، وتعرض لحزن شديد بعد معرفته أنه لا يستطيع الإنجاب، فقد تغيرت حياته أصبحت بائسة لا قيمة لها دون عمل ولا بنون.

لقد تعلق كمال بمعلمته " دنيا" التي غيرته من تلميذ متسكع لا يبالي بالدراسة إلى تلميذ متفوق نجيب، فقد أخذ منها الكثير من العلم والتثقيف لأنها معلمة ذكية ومحبة لعملها لدرجة

أن المدير خاف من أن يفقد منصبه جراء تلك المعلمة، فقرر التحري عنها ومن تكون، فالصاعقة تكمن في نسبها فهي ابنة " الرومية" وفريد طباخ القرية الذي تزوج بها بعد أن أحبها منذ الصغر، وخانها الحظ معه، لم يتقدم لها أحد لأنها أرملة واتهموها بقتل زوجها وأنها امرأة ليست شريفة.

– لقد تعرضت أخت جميلة للمذلة، وبسبب زوجها الذي تزوجها من أجل أجرتها ممّا جعلها تطلب الطلاق منه، وتستقر مع ابنتها الصغيرة، في بيت للكراء.

كمال غدا مسؤولا على منصة الحفر .....فقد كان ذكيا للغاية، كشف جريمة باسكال، في حق المال العام والوطن فهو يضمن عقود شراء لمؤسسة لأمر طويل.

لقد كان كمال مفزوعا، أفاق من كابوس على الساعة السادسة صباحا، ونهض ووجد امرأة نائمة قربه على سريره، وأفاق وهو يسألها من تكون، وفتح باب الغرفة بعفوية حتى رأى شابا يحدثه ويقول له أسماء كعادتها، 10 دقائق في الحمام صبح الخير أبي فلم يفهم أهو في حلم ألم يستيقظ بعد، فسأل المرأة، وقالت أنا زوجتك فضيلة وهؤلاء أسماء وأخوها وهما توأمان.

و بد هذا الجهد المتواضع نصل إلى جملة من النتائج أهمها:

- ✓ لقد جاء المكان في الرواية على أنه عنصر ضروري وحيوي محققا التلاحم والانسجام مع باقي العناصر، وليس مجرد ديكور الأحداث.
- ✓ تعددت أنواع الأمكنة في هذه الرواية فتظهر مرة مفتوحة مرة مغلقة واعتمد الروائي على الجانب الخيالي وكان لهذه الأمكنة الأثر على نفسية الشخوص، ومعاناة الشخصيات لما لها من التأثير وقد جاء معظمها بين الخوف والتوتر والعنف والهجرة.
- ✓ ونجد الروائي استخدم في روايته اللغة الفصحى وتتخلله في بعض الأحيان اللغة العامية.
- ✓ وأن عنصر المكان تفاعله مع المكونات السردية منها الشخصيات والسرد.
- ✓ أسهم المكان في نص رواية " ضباب آخر النهار" في التشكيل الإيديولوجي والاجتماعي لرؤية العالم والشخصيات.
- ✓ أن المكان أيضا أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم.
- ✓ استخدم الروائي عنصر المرأة مرة تدل على الصبر من محن الحياة.

أطلق النقاد العديد من الاصطلاحات على عنصر المكان كالحيز، في حين عد البعض الفضاء أشمل و أوسع من المكان ذلك أنه يشمل مجموع الأحداث الروائية

الإثارة لتكسب رضا الرجل ومرة أخرى تحدثه عن عامل الخيانة من طرف المرأة بسبب ظروف الحياة القاسية تدفعها الحاجة الماسة لارتكاب مثل الفعل الشنيع في حق لرجل.

تنوعت بنية المكان في الرواية " **ضباب آخر النهار**" وتعددت دلالتها، فهي عبارة عن تشكلات مكانية بين أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة.

ارتبط المكان بباقي مكونات السرد ارتباطا وثيقا إذ استطاع الروائي أن يعكس لنا ما تشعر به الشخصية أثناء وجودها في مكان معين.

وتبقى الرواية مفتوحة على حد دراسات وتأويلات جديدة لاستكشاف جمالياتها ودلالتها.

و في النهاية لا نملك إلا أن نقول أننا قد عرضنا رأينا، و أدلينا بفكرتنا في ها الموضوع لعلنا نكون قد وفقنا في كتابته و التعبير عنه و أخيرا ما نحن إلا بشر قد نخطأ، و قد نصيب. فان كنا قد أخطأنا فنرجو مسامحتنا ة إن كنا قد أصبنا فهذا كل ما نرجوه من الله عزّ و جلّ.

-القرآن الكريم برواية ورش بن نافع.

أ- المصادر:

- مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النهار، دار الأمل للطباعة و النشر، تيزي وزو، د ط، 2018.

ب-المراجع:

1-إدريس بوذيبة: "الرؤية و البنية في الدراسات الطاهر وطار"، منشورات جامعية، منتوري، قسنطينة، ط1، 2000.

2-باديس فوغالي: "الزمان و المكان في الشعر الجاهلي" عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2008.

3-بن موسى فريدة إبراهيم: "زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية" دراسة نقدية، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2011.

4-بشير بويجرة محمد: بنية الخطاب الروائي الجزائري 1970-1986، جماليات و إشكاليات الإبداع، ط1، دار المغرب للنشر و التوزيع، 2001-2002، ج2، ص120.

5-جيرار جنيت و آخرون: "الفضاء الروائي نز عبد الرحيم، حزل إفريقيا، الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 20.

6-حسن بحراوي: " بنية الشكل الروائي" المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

7- حسن نجمي: "شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية"، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000.

8-حميد لحميداني:" بنية النص السردي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.

9-سيزا قاسم: "بناء الرواية"، دراسة نقدية لثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985.

10- سعيد يقضين: "قال الراوي(البيئات الحكائية في السيرة الشعبية)"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997، ص240.

11- شاكر نابلسي:"جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 1994.

12- صبيحة عودة زعرب، غسان كنافي:"جماليات السرد في الخطاب الروائي"، دار مجد لاوي للنشر و التوزيع، ط1، 2006، ص95.

13- الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010.

14- عبود أوريدة: "المكان في القصة الجزائرية الثورية(دراسة بنيوية بنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص31.

15- عمر و عيلان:"الإيديولوجي و بنية الخطاب الروائي(دراسة سوسيو بنائية في روايات غيداء، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص2000.

16- عمر عاشور: " البنية السردية عند الطيب صالح، البنية الزمانية و المكانية في موسم الهجرة إلى الشمال"، دار هومة، الجزائر، 2016.

17- ضياء غنى لفتة: " البنية السردية في شعر الصعاليك"، دار المجلد للنشر، الأردن، ط1، 2016، ص 117.

18- فليب هامون: " سيمولوجية للشخصيات الروائية تر سعيد بن كراد، دار الحوار للنشر و التوزيع،ط 8، مجلد 1، 2013.

19- فيصل غازي النعيمي: " العلامة و المكان"، دراسة سيمائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيق، دار مجد لاوي، عمان، الأردن، ط1، 2009-2010، ص 111.

20- محمد صابر عبيد: "المغامرة الجمالية للنص القصصي "، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، ط 1، أريد، الأردن، 2010، ص100.

21- محمد بوعزة: " تحليل النص السردي، تقنيات و مفاهيم"، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 1431هـ/2010.

22- محمد عزام: " فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان"، دار الحوار للنشر و التوزيع، ط1، 1996.

23- مصطفى السيوفي: " تصوير الشخصيات في قصص فريد أبو جديد"، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2010-2011، ص60.

24- ياسين التصبير: "الرواية و المكان(دراسة المكان الروائي)"، دار نتينوي للنشر و التوزيع، سوريا، دمشق، ط2.

25- يوري لوتمان: "مشكلة المكان الفني، تقديم و ترجمة سيزا قاسم درازا، مجلة عيون المقالات، العدد 8، 1987، ص 69.

ج-المعاجم:

26- ابن منظور، لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 7، ط1، د.ت.

د-المجلات :

27- سام علي أبو البشير: " جماليات المكان في باب الساحة" لسحر خليفة، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد 15، 30 جوان 2007، العدد الثاني.

28- خالد حسين حسين: " الفضاء الروائي و العلاقات النصية"، مجلة المعرفة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية.

29- عماد الهادي الخفاجي: "مفهوم الفضاء و المكان و الحيز"، صحيفة التآخي، دار التآخي للطباعة و النشر، بيروت، أوت 2013.

هـ- الرسائل الجامعية:

30- غيداء أحمد سعدون شلاس: " المكان و المصطلحات المقاربة له"، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث التربية الإسلامية، المجلد11، العدد2، 2011.

31- أحمد مولاي لكبير: "العناصر المكانية و التأثينات المشهدية في الرواية المغاربية"، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم تخصص نقد حديث و معاصر.

32- جوادي هنية: "صورة المكان و دلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب و اللغة العربية.

33- دكتور إبراهيم جنداري: "الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا"، مجلة الابتسامة، منتديات الابتسامة، يونيو، 2016.

34- سهام سديرة: "بنية الزمان و المكان في القصص الحديث النبوي الشريف، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2008، ص 38.

35- قصي جاسم أحمد الجبوري:" المكان في روايات تحسين كريماني رسالة مستكملة لمتطلبات ماجستير في اللغة العربية و آدابها، طه الجراحشة، 2016.

و- المواقع الالكترونية:

-آسيا البوعلي: " أهمية المكان في النص الروائي"، مجلة نزوى، تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة و النشر و الإعلان، العدد الأول، نوفمبر، 1994،WWW.NIZW.COM، نقلا عن البوابة نيوز.

البنية المكانية في رواية ضباب

آخر النهار لمصطفى ولد يوسف

خطة البحث

مقدمة.....01

الفصل الأول: ماهية المكان و أهميته في النص الروائي

1-المفهوم اللغوي للمكان..... 04

2-المفهوم الفلسفي للمكان.....05

3-المفهوم الأدبي للمكان.....06

4-أهمية المكان في النص الروائي.....10

5-المفهوم و إشكالية تعدد المصطلحات.....23

الفصل الثاني: المكان و علاقته بالمكونات السردية

I -التشكيلات المكانية في رواية ضباب آخر النهار لمصطفى ولد يوسف.....32

1-الأماكن المفتوحة.....32

2-الأماكن المغلقة.....33

3-علاقة المكان بالعناصر السردية الأخرى.....35

4-علاقة المكان بالشخصيات.....37

5-علاقة المكان بالحدث.....50

ملخص الرواية.....66

الخاتمة.....69
قائمة المراجع..... 72
الفهرس.....77

الفصل الأول

ماهية المكان و أهميته في النص الروائي

الفصل الثاني

المكان و علاقته بالمكونات السردية

المقدمة

الخاتمة

قائمة المراجع

و المصادر

ملخص الرواية